

أدوات الشرط

من منظور الأصوليين واللغويين

The Nouns of Conditions

From the Point of View of Fundamentalists
and Linguists

د/ فتحية عبد الصمد محمد عبيد (*)

شكر وتقدير

الحمد لله القائل في محكم تنزيله: { لئن شكرتم لأزيدنكم }^(١) والصلوة والسلام على خير البرية، ومرشد البشرية، الذي دعانا إلى الاعتراف بالفضل لأهله، والشكر لهم على فعله حيث قال: ((مَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرِ اللَّهَ))^(٢) وقال: ((مَنْ أَبْلَى بِلَاءَ فَذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ))^(٣). وبعد، فإنني أتقدم فيها بجزيل الشكر والتقدير لجامعة الملك عبد العزيز، ممثلة في عمادة البحث العلمي التي كان لها الفضل

(*) أستاذ أصول الفقه المشارك - بقسم الدراسات الإسلامية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية -

جامعة الملك عبد العزيز - المملكة العربية السعودية.

(١) سورة: إبراهيم - آية: ٧.

(٢) ينظر: ابن حنبل أحمد بن محمد، المتوفى سنة (٢٤١) المسند المطبوعة: الميمنية، بالقاهرة سنة ١٣١٣هـ ١٨٩٣م ٢١٢/٥ أبو داود سليمان بن الأشعث، المتوفى سنة (٢٧٥هـ) سنن أبي داود كتاب: الأدب، باب: في شكر المعروف ١٥٧/٥، الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة، المتوفى سنة (٢٧٩هـ) سنن الترمذي كتاب: البر، باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ١٣٩/٤.

(٣) ينظر: أبو داود سليمان بن الأشعث، المتوفى سنة (٢٧٥هـ) سنن أبي داود مرجع سابق كتاب: الأدب، باب: في شكر المعروف ١٥٩/٥.

بعد الله تعالى في دعم هذا البحث رقم (٤٢٩ / ٦ / ١٧)
وتحكيمة، مع التوصية بنشره في إحدى المجلات المحكمة.



ملخص البحث

الحمد لله تعالى رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد/

فإن من أجل العلوم قدرًا، وأعلاها شأنًا، ((علم أصول الفقه)) "هذا العلم الذي ازدوج فيه العقل والسمع، واصطحب فيه الرأي والشرع، فأخذ من صفو الشرع والعقل سواء السبيل، فلا هو تصرف بمحض العقول الذي لا يتلقاه الشرع بالقبول، ولا هو مبني على مخض التقليد الذي لا يشهد له العقل بالشديد والتأييد"^(١).

وهو قاعدة الأحكام الشرعية، وأساس الفتاوى الفرعية التي بها صلاح معاش المكلفين، وفوزهم في الدنيا والدين.

وهو السلاح المضاعف، والمفتاح السديد في يد الباحث، والعالم، والفقيه، والمجتهد، والمفسر والمحدث، لا يستغني عنه أي منهم.

وهو علم يقوم على كثير من (مفاهيم الشريعة ومقاصدها) و(القواعد اللغوية) و(المبادئ المنطقية) ويربط النتائج بالمقدمات، ويبحث عن علل الأحكام، ويتدرج في عرض المصادر بحسب قوتها الشرعية، ويتناول الدلالات، والمباحث اللغوية بترتيب منطقي، وسياق عقلي.

(١) الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد، المتوفى سنة (٥٠٥هـ) - المستنصر من علم الأصول دار العلوم الحبيثة - بيروت - لبنان - ٢ / ١.

والله در الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - حيث وصف الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - واضع علم أصول الفقه - بقوله: ((الشافعي فيلسوف في أربعة أشياء: في اللغة، واختلاف الناس، والمعاني، والفقه))^(١).

هذا، ولما كان (الفقه) مستنداً إلى الكتاب والسنة، ويحتاج الفقيه في أخذه منهما إلى قواعد، جمعت تلك القواعد في ((علم أصول الفقه)) وهي تسمية صحيحة، موافقة لتوقف ((الفقه)) عليها، وتلك القواعد منها ما لا يعرف إلا من ((الشرع)) ومنها ما لا يعرف إلا من ((اللغة)) بزيادة على ما تصدى له النحاة، واللغويون^(٢).

لذا فإننا آثرنا اختيار البحث في مجال "حروف المعاني" الذي اخترنا منه "أدوات الشرط" لما له من أهمية كبيرة في جميع المباحث الأصولية فضلاً عن اللغوية، ومع هذا فقد رأينا في أثناء دراستنا، ومطالعتنا للكتب المخطوطة، والمطبوعة القديمة والحديثة عدم تناول هذا الموضوع من قبل جميع العلماء على غرار واحد، فالبعض أعرض عنه وأحجم، والبعض الآخر اختصر وأوجز، والبعض الثالث أسهب وأطنب، لذا آثرنا تقديم ((بحث)) نجمع فيه بين أقوال الأصوليين واللغويين في الموضوع مع إخراجهم بأسلوب سهل بليغ - وثوب جديد قشيب يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ورصانة الأسلوب القديم، وجزالة الأسلوب الحديث بحيث يجد فيه العالم مبتغاه والمبتدئ مطلبه.

(١) ادبي: محمد صالح - مصادر التشريع الإسلامي - مكتبة الغيكان - الرياض - ط/ الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢ م - ص ١٧.

(٢) ابن السبكي: علي بن عبد الكافي، المتوفى سنة (٧٥٦ هـ) وتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي المتوفى سنة (٧٧١ هـ) - الإبهاج في شرح المنهاج - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ٩/١.

SUMMAR

IN THE NAME OF ALLAH THE MERCIFUL
 ABSTRACT THE
 THE CHARACTER MEANINGS"

Praise be to Allah the mighty Lord of the two Worlds, and prayers and peace be upon the best of prophets and messengers, and upon his family and companions.

The best and the highest affair of all science ever, and the best to study and learn is ((the study of USUL AL FIQH)) which duplicate the mind and the hearing, and was escorted by the opinion and Sharea "jurisprudence", This science took the purity of mind along with Sharea, either way, it could not conduct only by minds, which Sharea does not accept, nor it is purely based on traditions, which mind can't severely support⁽¹⁾.

It is the base of the legitimate judgments, and the fundamental subsidiary of fatwa with which the reform of adults' lives are straightened. They also gain both the world and religion. It is the lightened weapon, and the good key in the hands of the researcher, the scientist,.....the Faqeeh..., the hard-working person, the interpreter, and finally the tellers. No one can abandon it. It is a science that is based on knowledge of many (logical principles) and (grammar) and (concepts and purposes of Sharea). It connects the results with what is presented, searches for judgments' faults, ranging in the presentation of the sources according to its legitimate strength, and deals with existential and linguistic in a logical order, and mental context. Imam Ahmad Bin Hanbal (blessings of God the

mighty) described Imam Shafei (blessings of God the mighty), who wrote the science of jurisprudence, saying: ((Shafei is a philosopher in four things: the language, the difference between people, and the meanings and Fiqh))⁽¹⁾.

This, as the Fiqh based on the Quran and Sunna, and it needs them in taking the rules from. Those rules are brought in ((the science of USUL AL FIGH)). This designation is correct, and identical. Those rules that we can't know except from ((Sharea)), ((language)), or from what linguistics stated⁽²⁾.

Therefore, we preferred to chose the selection of this topic " The Character Meanings" because of its great importance in all fundamental researches as well as linguistic. Yet we have seen during our study, and reading books on the manuscript and through old and modern printed books that this subject hasn't been handled by all scientists in the same way.

Some introduce it and refrained, others shortened and outlined, and some make it longer than it should be.

Therefore, I chose to represent this ((search)) which combines the words of fundamentalists and linguists about this subject and try to write it in an easy and eloquently way – and in a new dress combines the originality with the contemporary, and the gravity of the old style with the Modern style, so the scientist finds what he needs and the greenhorn what he demands.

Allah Helps Us

المقدمة

الحمدُ لله الذي جعل العلم دليلاً للوصول إليه، وجعل للفقه أصولاً يُستدلُّ بها عليه. والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا مُحَمَّدٍ المفضلِ بالإجماع على سائر البشر من الخاصِّ والعامِّ، وعلى آله المطهَّرين باستصحاب الأصل، وأصحابه المفضلين بالقياس والنقل، وعلى تابعيهم، ولا سيما الأئمة المجتهدين ومقلديهم في الدين.

وبعد....

فإن للعلوم كلها شرفاً ومنازاً، وفضيلة ومقداراً، لكنها مختلفة في الدرجات والمراتب، ومتفاوتة في المزايا والمناقب. وأجلها وأشرفها العلوم الدينية الكاشفة عن أسرار الملة الحنيفية، وهي: إما نقلية صرفة تعتمد على الرواية والحكاية، وإما نظرية تقوم على التدقيق في الأنظار، والتعميق في الأفكار. وهي ثلاثة:

- (١) أولها وأجلها: "علم التوحيد" الذي هو أصل الدين وأساسه.
- (٢) وثانيها: "أصول الفقه" إذ هو قاعدة الأحكام الشرعية، وأساس الفتاوى الفرعية التي بها صلاح معاش المكلفين، وفوزهم في الدنيا والدين.
- (٣) وثالثها: "علم الفقه" وهو عماد الأحكام التكليفية العارضة للأفكار البشرية.

والذي يعني في هذا المقام: "علم أصول الفقه":

- (١) والذي يعتبر من أشرف علوم الشريعة قدراً، وأعظمها نفعا. "إذ هو العلم الذي ازدوج فيه العقل والسمع، واصطبغ فيه الرأي والشرع،

فأخذ من صفو الشرع والعقل سواء السبيل، فلا هو تصرف بمحض العقول الذي لا يتلقاه الشرع بالقبول، ولا هو مبني على محض التقليد الذي لا يشهد له العقل بالتسديد والتأييد^(١).

(٢) والذي يعد السلاح المضاعف، والمفتاح السديد في يد الباحث والعالم، والفقيه والمجتهد، والمفسر والمحدث، لا يستغني عنه أي منهم.

(٣) والذي يحتل قائمة الهرم في الوسائل الناجحة التي ساهمت في حفظ الدين من التحريف والتضليل. فسان أدلة الشريعة، وحفظ حجج الأحكام، وعرف الناس بمصادر التشريع الأصلية التي يجب الالتزام بها، والرجوع إليها.

كما بين المصادر الفرعية والتبعية التي كانت المجال الرحب لاتساع الشريعة، وتلبية حاجات الأمة فيما يعترئها من وقائع وأحداث. كما كان أيضاً العقبة الكأداء في وجه المنحرفين، والمضللين، والمشعوذين الذين حاولوا الدس في الأحكام من مصادر باطلة، أو هدم الدين بنفي بعض مصادره وأحكامه، كإنكار السنة، ونفي حجية خبر الآحاد في الحديث، والتضليل في الدلالات، وطرق الاستنباط.

(٤) والذي عني بدراسة الاختلاف بين الأئمة والمجتهدين، والفقهاء، وأثبت بما لا يدع مجالاً للشك ولا مقاماً للريب باعتماده في دراسة تلك الاختلافات على أسس موضوعية، ومبادئ علمية، وأنه محدد بضوابط دقيقة، وهو أبعد ما يكون عن التشهي أو الهوى، أو الانتصار لذات أو شخص. وأبان أن الاختلاف أمرٌ طبيعي في جميع العلوم والفنون،

(١) الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد، مرجع سابق ٢/١٠٣.

وعند جميع الأشخاص والمذاهب، وأن مبادئ الشريعة تُقره، وأن الفقهاء التزموا النصوص الشرعية، وساروا على المنهج القويم، وأن تاريخ التشريع، وسيرة الأئمة يؤكدان ذلك، إذ كان الإخلاص رائدهم، والتعبد لله تعالى هدفهم، ومرضاته سبحانه جل في علاه مُبتغاهم، وطلب العلم والوصول إلى الحق أسمى أمانيتهم.

(٥) والذي يتميز بصلته الوثيقة بالدين، ومعرفة أحكام الحلال والحرام، لأنه طريق لاستنباط كل حكم شرعي، عن طريق وضعه لنظريات عامة، محكمة البناء، مبنية النسخ أقيم عليها بنيان الدين وإرساء قواعده، وإحكام أصول شريعته.

قال عضد الملة والدين^(١): ((لما علم كون أحكام الحلال والحرام، والمعاش والمعاد متكثرة، وأن قوة العباد قاصرة عن ضبطها منتشرة، ناطها بدلائل، وربطها بأمارات ومخايل، ورشح طائفة ممن اصطفاهم لاستنباطها، ووفقهم لتدوينها بعد أخذها من مأخذها ومناطقها، وكان لذلك قواعد كلية، بها يتوصل، ومقدمات جامعة منها يتوصل)).

هذا ومن المعلوم أن "علم أصول الفقه" قد ضم في ثناياه المباحث التالية:

(١) الأحكام الشرعية.

(٢) طرق استنباط الأحكام من النصوص الشرعية.

(٣) مصادر الأحكام الشرعية "الأصلية + التبعية".

(٤) مقاصد الشريعة العامة.

(١) العضد: عبدالرحمن بن ركن الدين أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجي البكري، المتوفى سنة (٧٥٦هـ) مختصر المنتهى الأصولي. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان. الطبعة: الثانية - سنة ١٤٠٣هـ. ١٩٨٣م ٤/١.

(٥) الاجتهاد والتقليد.

(٦) التعارض والترجيح بين الأدلة.

ولعله لا يختلف اثنان على أن ((اللغة العربية)) بل إن ((اللغة العربية الفصحى)) ذات المستوى الراقى والعالي جدًا هي أداة التعبير عن جميع هذه المباحث، كيف لا؟! ومادتها وموضوعها الكتاب الكريم والسنة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، و أقوال الصحابة، والعلماء، والسلف الصالح رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

لذلك تناول الأصوليون في كتبهم، وضمن مباحثهم ((مباحث لغوية)) وأفاضوا في الكلام فيها، وأفادوا لصلتها الوثيقة بعلمهم، ومع هذا فإننا نجد الحديث عن هذه (المباحث اللغوية) وبالذات ((حروف المعاني)) ومنها ((أدوات الشرط)) موضوع بحثنا ليس عاملاً مشتركاً في جميع الكتب القديمة فضلاً عن الحديثة.

فالبعض غص الطرف عنها فلم يشر إليها من قريب أو من بعيد، والبعض الآخر اختصر القول فيها فلم يجد الباحث في رحابها ما يروي ظمأه، أو يشبع نهمه، والبعض الآخر أطال وأطنب، وتوسع وأسهب، فلم يستطع طالب العلم الغوص في أعماقها واستخراج مطلوبه من أغوارها فعزف عنها، وخرج من بحثه بخفي حنين، وصفر اليدين مع حاجته إليها، وبذل الوسع والبطاقة في العثور عليها.

***ولهذه الأسباب، وتلك المبررات، والدوافع والغايات فإنني قد عزمت - وبالله تعالى التوفيق - على اختيار هذا الموضوع لعلي أكون بذلك قد قدمت بحثاً يجمع بين دفتيه أقوال الأصوليين، وآراء اللغويين، يجد فيه

العالم مبتغاه، والمبتدئ مطلبه بأسلوب سهل بلينغ، يؤدي إلى المطلوب، ويتناسب مع حاجة أبناء العصر، ولغتهم بعيداً عن التفجرات اللغوية، والغياهب الأصولية.

راجية من الله تعالى الكريم الوهاب أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتاه سبحانه وتعالى بقلب سليم.



المنهج الذي تم استخدامه

المنهج الذي تم استخدامه: هو المنهج الوصفي بأدواته التحليلية والاستقرائية.



نتائج

الدراسات السابقة

في الحقيقة لقد قامت العديد من الدراسات - وإن كانت ليست بالكثرة التي كنا نتوقعها عن ((حروف المعاني)) بصفة عامة ، وعن ((أدوات الشرط)) بصفة خاصة. بيد أن هذه الدراسات كانت في - مجملها - لا تخلو من أن تكون مقدمة من قبل باحثين لغويين لنيل درجات في اللغة العربية. ولم نطلع إلا على القليل جداً من الدراسات التي قدمت أبحاثاً في ((حروف المعاني)) جمعت فيه بين الناحية الأصولية واللغوية. غير أنها تختلف عن بحثنا من حيث الكم والكيف - كما سيجيء -؛ لذا يعتبر بحثنا - والله تعالى الحمد والمنة -جديداً في طرجه، حديثاً في تناوله، يستفيد منه الأصوليون كما يستفيد منه اللغويون.

وإليك بياناً بالدراسات السابقة التي وقفنا عليها بالتقسيمات التالية:

أولاً: الدراسات اللغوية المختصة بـ ((حروف المعاني)) مثل:

١. الواوآت والياءآت في النحو والصرف: لفتحية حسن عطار. وهي رسالة ماجستير قدمت في جامعة أم القرى - كلية اللغة العربية - عام ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م. وهو كما يتضح من ((عنوانها)) اقتصر على ((حرفين)) فقط فلم تكن دراسة شاملة واسعة لجميع الحروف، أو معظمها على الأقل.

٢. حروف المعاني المركبة وأثر التركيب فيها: لفائزة بنت عمر المؤيد / أستاذ النحو والصرف المشارك في قسم اللغة العربية في كلية الآداب للبنات - بالدمام.

وهو بحث نشر في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها - المجلد (١٣) العدد (٢٢) ربيع الأول ١٤٢٢ هـ - ١٩١٢ م. تناولت الباحثة فيه ((حروف المعاني)) من حيث تقسيمها إلى بسيط ومركب، ثم ركزت دراستها على التققيب عن "الحروف المركبة" والقائلين بتركيبها، حتى ولو كان القائل واحداً من النحاة.

* وهي كما نرى - أيضاً - دراسة نحوية خالصة شأنها في ذلك شأن الدراسات النحوية الأخرى التي اهتمت بـ "حروف المعاني".

ثانياً: الدراسات الفقهية، مثل:

١. دلالات عشرة حروف معاني وأثرها في اختلاف العلماء/ للدكتور علي نايف بقاعي/ كتاب مطبوع نشرته دار البشائر الإسلامية/ بيروت

٥١٤٢٩

٢. حروف المعاني وأثرها في اختلاف الفقهاء / لحسين مطاوع الترتوري / رسالة دكتوراه جامعة أم القرى، سنة ١٤٠٢هـ.

٣. حروف المعاني وعلاقتها بالحكم الشرعي / للدكتور دياب عبد الجواد عطا / كتاب مطبوع نشرته دار المنار في القاهرة، سنة ١٤٠٦هـ.

أما بالنسبة ل ((أدوات الشرط)) فلم نعثر إلا على بعض ((الدراسات القرآنية اللغوية)) على هذه الأدوات إليكم بيانها :

١. "ان " واستعمالاتها في القرآن الكريم / لأحمد محمد أحمد خالد / رسالة ماجستير جامعة الأزهر اللغة العربية ١٤٠١هـ

٢. أسرار تقييد المسند بأدوات الشرط (ان وإذا ولو) ومواقفه في القرآن الكريم / لمحمود موسى إبراهيم حمدان / جامعة الأزهر اللغة العربية. مستوى وتاريخ الرسالة بدون .

٣. أدوات الشرط والمنطق الشرطي في القرآن الكريم / لمحمد حسن الجراح / رسالة دكتوراه الجامعة الملكية الإسلامية الهند اللغة العربية وآدابها ، سنة ١٤١١هـ.

٤. دور أدوات الشرط في القرآن الكريم / لنور الدين توركاني / رسالة ماجستير جامعة دو كوز أيلول تركيا معهد العلوم الاجتماعية ، سنة ١٤١١هـ.

ومما سبق يلاحظ أن الدراسات السابقة ل ((حروف المعاني)) كانت دراسات نحوية محضة أو فقهية خالصة .

أم بالنسبة ل ((أدوات الشرط)) فقد انحصرت الدراسات التي قدمت فيها على الدراسات القرآنية اللغوية فقط .

لهذا كان بحثنا ((أدوات الشرط)) يعتبر جديد أ في طرحة ، غير مسبوق في فنه، حرصنا كل الحرص على تقديمه بطريقة أصولية - جامعة بين منهج الفقهاء والمتكلمين - لغوية شاملة. ولعل هذا ما يميزه ، ويجعل منه إضافة جيدة وجديدة إلى المكتبة الإسلامية العربية الأصولية الفقهية اللغوية. والله تعالى الحمد والمنة.



المشكلات التي واجهها

العمل وكيفية مواجهتها

لم تكن هناك مشاكل والله تعالى الحمد والمنة بقدر ما هي ملاحظات إليكم بياتها، وكيفية التعامل معها:

١. البحث بعيد الأغوار، متشعب الموضوعات، كثير التداخلات في كثير من العلوم. لعل من أهمها - بالإضافة إلى "علم الأصول" و"النحو" - : التفسير، القراءات، علوم القرآن، البلاغة، الأدب.

٢. إقتصار الأصوليين في تناولهم ل ((حروف المعاني)) ومنها ((أسماء الظروف)) على ما يقتضيه المقام الأصولي، لذا كان لابد من الرجوع إلى المراجع اللغوية لإتمام البحث في تلك الحروف، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إننا لم نطلع على بحث أصولي لغوي تناول ((أدوات الشرط)) بالطريقة التي اعتمدناها ، وبالكيفية التي طرقتها.

٣. لقد كان تناول الأصوليون ل "حروف المعاني" ومنها ((أدوات الشرط)) متفاوتا من حيث الكم والكيف. فالبعض اختصر وأوجز مثل: أبو الحسين البصري، والشيرازي، والآمدي.

والبعض اقتصد وتوسط : كإمام الحرمين، والغزالي، والرازي، وأبي الخطاب، والأسنوي.

والبعض الآخر أطال وأسهب كالسرخسي، وابن السبكي - من حيث العدد - ، والزرکشي، وابن الهمام، وابن النجار، وابن عبد الشکور - من حيث کیف.

ومن الكتب الحديثة التي تناولت حروف المعاني:

أصول الفقه الإسلامي: لوهبة الزحيلي، والوجيز في أصول الفقه: لعوض أحمد إدريس - وإن كان تعرض لها بطريقة موجزة - في حين لم يتعرض لها وهبة الزحيلي في كتابه "الوجيز". وكذا عبد الكريم زيدان في كتابه "الوجيز"، وأبو زهرة، والخضري بك، ومحمد أديب صالح في كتابه "مصادر التشريع الإسلامي"، وعبد الرحيم يعقوب في كتابه "تيسير الوصول إلى علم الأصول"، ونور الدين الخادمي في كتابه "تعلم علم الأصول".

٤. الكتابة عن ((حروف المعاني)) في كثير من الكتب الأصولية أو اللغوية كان بطريقة مختصرة جداً باستثناء الكتب اللغوية التي أفرد لها مؤلفوها كتباً خاصة بهذا الشأن.

٥. عدم توفر بعض المراجع الخاصة ب ((حروف المعاني)) في المكتبات والذي يثير الدهشة أن بعضها من أمهات الكتب.

٦. عدم وجود دراسات سابقة خاصة ب ((أسماء الظروف)).

وقد حاولنا مجابهة ذلك:

أ- بالاطلاع على كثير من الكتب والدراسات التي تناولت ((حروف المعاني ومنها أسماء الظروف)) مع سؤال أهل الاختصاص عن ذلك.

ب- إبراز العلاقة الوطيدة بين "علم الأصول" و "اللغة العربية" وترجمة ذلك في "حروف المعاني" بصفة عامة و "أدوات الشرط" بصفة خاصة.

ج- لم نألُ جهداً في الاستعانة بجميع المراجع التي تخدم بحثنا من قريب أو بعيد.

د- عدم توفر بعض المراجع. تم التغلب عليها بالزيارات المتكررة للمكتبات الخاصة والتجارية، مع طلب توفيرها، بالإضافة إلى الإنترنت.



النتائج التي تم التوصل إليها

النتائج التي تم التوصل إليها في ضوء الأهداف ونتائج الدراسات السابقة في مجال البحث:

لعل من أهم النتائج التي تم التوصل إليها:

١. أن "علم أصول الفقه" قاعدة الشرع، والأصل الذي يرد إليه كل فرع، ازدوج فيه العقل والسمع، واصطحب فيه الرأي والشرع، فأخذ من صفو الشرع والعقل سواء السبيل، فلا هو تصرف بمحض العقول الذي لا يتلقاه الشرع بالقبول، ولا هو مبني على محض التقليد الذي لا يشهد له العقل بالتسديد والتأييد.

٢. أن "علم أصول الفقه" علم فريد تميزت به الأمة الإسلامية، ويحاول الآن بعض علماء القانون مجارة هذا العلم، وإيجاد مثيل له تحت

عنوان "أصول القاتنون" مع الفارق الكبير بينه وبين "أصول الفقه" في الدقة والشمول، والموضوعية، والعمق، والأصالة.

٣. تميز "علم أصول الفقه" إذا ما قورن بـ "مدارس التفسير" التي ظهرت في العصر الحديث في أوروبا. فالضد يظهر حسنه الضد، كما يقولون.

٤. ارتباط وجود "أصول الفقه" بوجود "الفقه" بل هو سابق عليه لأن الأول أصل، والثاني فرع، والفقه قد وجد بوجود التشريع، فذلك أصوله، وإن لم يكن معروفاً باسم قواعد معينة، وضوابط خاصة، لعدم الحاجة إلى ذلك لوجود النبي ﷺ بين ظهرانيهم، ولعلمهم باللغة العربية وأسرار التشريع ومقاصده.

٥. أن رسالة الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - كانت حجر الأساس في "علم أصول الفقه" حيث كانت نواة لما جاء بعدها من تأليف وتصانيف.

٦. ارتباط "علم الأصول" بـ "علوم اللغة العربية" لذلك ظهرت الحاجة إلى تقييده، وتأصيله بعد اتساع البلاد الإسلامية، واختلاط العرب بغيرهم، وإدخال كثير من المفردات، والأساليب الأعجمية عليهم، وكثرت الاحتمالات في فهم النصوص، فحينها دعت الحاجة إلى وضع ضوابط، وقواعد لغوية أصولية بها يقتدر على فهم النصوص كما فهمها المسلمون الأوائل الذين نزل عليهم القرآن الكريم.

٧. التدليل على أن الأصوليين وقفوا في فهم أشياء من كلام العرب لم يصل إليها النحاة ولا اللغويون، فإن كلام العرب متسع جداً، والنظر

فيه متشعب، وكتب اللغة تضبط الألفاظ الظاهرة دون المعاني الدقيقة التي تحتاج إلى نظر الأصول، واستقراء زائد على الاستقراء اللغوي.

٨. أن العلاقة بين "اللغة" و"الفقه" تَبَعْدُ زائداً من روافد الاجتهاد في القضايا الجديدة المعاصرة، ومرجعاً للترجيح في القضايا القديمة التي للأوائل فيها مواقف مختلفة.

٩. صلة حروف المعاني الوثيقة بالأحكام الشرعية، والمسائل الفقهية من حيث استنباط الأحكام.

١٠. صلة "حروف المعاني" الوظيفية بـ "علم القراءات" و"التفسير" و"علوم القرآن" و"النحو" و"الصرف".

١١. قال الزركشي: "وإنما احتاج الأصولي إليها -أي: حروف المعاني - لأنها من جملة كلام العرب، وتختلف الأحكام الفقهية بسبب اختلاف معانيها، ثم قال: قال ابن السيد النحوي: يخبر عن تأمل غرضه ومقصده فإن الطريقة الفقهية مفتقرة إلى "علم الأدب" مؤسسة على أصول كلام العرب، وأن مثلها ومثله قول أبي الأسود:

فإن لا يكنها أو تَكْنَهُ فإن
أخوها غَذَتْهُ أُمُّهُ بلبانها

ولعل في هذا إجابة على قول ابن فارس - في كتابه "فقه العربية": رأيت أصحابنا الفقهاء يضمنون كتبهم في "أصول الفقه" حروفاً من "حروف المعاني" وما أدري ما الوجه في اختصاصهم إياها دون غيرها^(١).

١٢. لقد وجدنا اختلافاً واضحاً بين الأصوليين في تناولهم لحروف المعاني، والتي منها ((أدوات الشرط)) بين موجز ومتوسط ومطول، من حيث

(١) ينظر: الزركشي - بدر الدين محمد عبد الله بن بهادر - المتوفى سنة (٧٩٤هـ) - البحر المحيط - مرجع سابق - ٢٠٢/٢.

الكمّ ومن حيث المضمون، وقد ذيلنا كل "حرف" بالمراجع الأصولية واللغوية - وإن بدت كثيرة بعض الشيء- التي ذكرته ، وربّناها بحسب سني الوفاة لمصنفي الكتب الأصولية أولاً ثم اللغوية ثانياً حتى يعود إليها من رام الزيادة وطلب الاستفادة.

١٣. لابد من الاعتراف بأن الموضوع كان بعيد الأغوار متشعب المسالك، عميق المباحث، بيد أنه كان في غاية الجمال يشعر فيه الباحث بقيمة لغته وجمالها ودقتها وكمالها في التعبير مما يزيده شغفا بها واعتزازاً بأنه من أبنائه، ويصعب عليه عملية الاختزال والاختصار .



توصيات البحث

١. يجب استتطاق أهل اللغة من جديد حول القضايا الفقهية ودراسة "الفقه" في ضوء ذلك^(١).

٢. التأكيد على أهمية "اللغة العربية" في المدارس والجامعات باعتبارها الوسيلة التي لا غنى عنها لفهم القرآن الكريم، والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، والعلوم الأخرى بصفة عامة. فقد وضع أجدادنا لكل ما ببالهم من المعاني ما أرادوا من الألفاظ، ونحن أحفادهم وسهمنا في "الضاد" سهمهم، وحققنا حقهم، فهم وضعوا الأصول وعلينا التفريع عليها بغية الوصول لوضع أسماء المسميات

(١) ينظر: ابن بيه - عبد الله بن الشيخ محفوظ - أمالي الدلالات ومجالي الاختلافات - الناشر: دار ابن حزم بيروت لبنان الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م ص ٢٩٣

الحديث بالتعريب أو النحت أو الاشتقاق^(١). والله در حافظ إبراهيم حين قال -على لسان اللغة العربية -:

وسعتُ كتاب الله لفظاً وغاية

وما ضيقتُ عن آي به وعظات

فكيف أضيقُ اليومَ عن وصفِ آله

وتنسيق أسماء لمخترعات

أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن

فهل سائلوا الغواص عن صدفاتي

٣. تشجيع الباحثين وطلبة العلم على القيام بدراسات مستفيضة لـ "حروف المعاني" مع ربطها بعلوم القرآن تارة، والفقه والأصول تارة أخرى، تحقيقاً وبحثاً أو كتابة وطرحاً.

٤. استحداث مادة باسم "حروف المعاني" على أن تدرس دراسة تطبيقية فقهية على القضايا المستجدة. فتدرس لطلبة الدراسات الإسلامية، واللغة العربية، وتوضع ضمن المواد الحرة لجميع طلاب وطالبات الجامعة.

٥. ضرورة اعتماد اللغة العربية في التعامل مع نصوص الكتاب والسنة، وللتواصل مع آراء كبار الأئمة، إذ قد تبين أنه لا يمكن دراسة الفقه

(١) إن من بلغ أجداده ترفاً لغوياً وضعوا على أثره "خمسائة" اسم لـ "الأسد" و"أربعمائة" "للداية" و"ثلاثمائة" "السيف" و"مائتين" لـ "الحية" لا يعجز أحفاده عن استحداث أسماء لما استجد عليهم من أشياء.

(ينظر: المغنطوي - مصطفى لطفي - المتوفى سنة ١٣٤٢هـ) - النظرات - الناشر: مؤسسة فن الطباعة - ١٨٩/٢ - بتصرف - وكذا - ابن فارس - أحمد بن زكريا الرازي - المتوفى سنة ٨٩٥هـ - الصاحبى - تحقيق: عمر فاروق الطباع - الناشر: مكتبة المعارف - بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

بمعزل عن اللغة العربية وبخاصة الفقه المقارن، ومسائل الخلاف التي مردّها تفاوت أفهام العلماء لنصوص الكتاب والسنة.

٦. الربط بين اللغة والفقه على ضوء التطور العرفي للغة سيلغي كثيرا من الخلاف في المسائل الراجعة إلى كلام الناس، وذلك كمسائل الشروط، وصيغ الطلاق والعقود ونحو ذلك، لأن واقع اللغة العامية يجب اعتباره، كما قال أبو يوسف في مسألة عدم ذكر "الفاء" في جواب الشرط الذي كان مقررا في الفقه الحنفي وغيره: أنه يلغي الشرط والتعليق. وقال أبو يوسف: إن ذلك لا يلغيه؛ لأن الناس لم يعودوا يهتمون بهذه "الفاء"^(١).



خطة البحث

الحمد لله تعالى الذي جعل أصول الفقه مبنى للشرائع والأحكام، وأساسا لعلم الحلال والحرام. والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وأصحابه الأمجاد.

أما بعد.....

فإن الحديث عن (أدوات الشرط) ذو شجون وفنون، وله مدخلات في معظم العلوم، ومخرجات كثيرة المضمون، ؛ لذا لا بد من وضع خطة محكمة، وعناصر ملزمة، تتناول الموضوع من جهاته الأصلية والفرعية، ودقائقه الجزئية والكلية؛ لذا رأينا أن نقسم بحثنا هذا إلى: تمهيد وأربع مسائل

(١) ينظر: ابن بيه: عبد الله بن الشيخ محفوظ - أمالي الدلالات ومجالي الاختلافات - مرجع سابق - ص/٢٩٣.

وخاتمة:

التمهيد: المباحث اللغوية في ((علم أصول الفقه)) والعلاقة بينهما..

المسألة الأولى: حرف "إن".

المسألة الثانية: حرف "إذا".

المسألة الثالثة: حرف "متى".

المسألة الرابعة: حرف "كيف".

خاتمة: في إبراز أهم نتائج البحث والتوصيات.

*** قائمة بأهم المراجع .



تمهيد: في المباحث اللغوية

في "علم أصول الفقه" والعلاقة بينهما

لقد جرت عادة الأصوليين على التعرض " للمباحث اللغوية " في كتبهم، وذلك لأن هذه المباحث هي كالمدخل إلى "أصول الفقه" من جهة أنها أحد مفردات مادته، وهي: الكلام، والعربية، وتصور الأحكام الشرعية.

فمن لا يعرف "اللغة" لا يمكنه استخراج الأحكام من الكتاب الكريم، والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ^(١).

ومن هنا كان استخدام قواعد اللغة ومذلولاتها عند العرب في شؤون الخطاب، ومواقع الكلام، وحالاته من حيث الحقيقة والمجاز، والصريح والكناية، والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، وكل ما هو من ذلك بسبب مرتبط تمام الارتباط بلغتنا العربية التي بها نزل القرآن الكريم.

وهكذا نرى أن كل الأبواب التي تقوم عليها قواعد استنباط الأحكام من النصوص في "أصول الفقه" وثيقة الصلة بـ "العربية" فإذا أردنا التعرف على مواقع اللفظ من حيث وضعه للمعنى رأينا مرجع ذلك أولاً وقبل كل شيء إلى اللغة، حتى إذا انتقلنا إلى دلالات الألفاظ أبصرنا الأمر مرتبطاً تمام الارتباط أيضاً باللغة، ودلالة الخطاب فيها. حتى صيغ التكليف، والخطاب من الأمر والنهي اللذين يحصل بهما الإلزام في الشريعة، استعان العلماء على إدراكهما، وتقرير معانيهما بمفهومات اللغة، ومذلولات الطلب عند العرب ^(٢). ومن هنا كان طبعي اشتغال "أصول الفقه" على الكثير من

(١) ينظر: بدران عبد القادر بن أحمد مصطفى، المتوفى سنة (١١٤٠هـ) صححه وعلق عليه: عبد الله التركي المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثانية ١٤٠١هـ ١٩٨١م ص/١٧٠

(٢) ينظر: أديب الصالح محمد مصادر التشريع الإسلامي ومناهج الاستنباط مصدر سابق ص/١٧ وما بعدها.

"مباحث اللغة" كحروف المعاني وتقاسيمه، والفعل والحرف، والحقيقة والمجاز، والمشتراك، والمترادف، والمشتق ونحوها.

ومما تجدر الإشارة إليه والتنبيه عليه هو:

أن الأصوليين دققوا في فهم أشياء من كلام العرب لم يصل إليها النحاة ولا اللغويون، فإن كلام العرب متسع جداً، والنظر فيه متشعب، فكتب اللغة تضبط الألفاظ ومعانيها الظاهرة دون المعاني الدقيقة التي تحتاج إلى نظر الأصولي، واستقراء زائد على استقراء اللغوي.

مثاله: دلالة صيغة "افعل" على الوجوب "ولا تفعل" على التحريم، وكون "كل وأخواتها للعموم" وأشباه ذلك، فلو فتشت "كتب اللغة" لم تجد فيها شفاء في ذلك، ولا تعرضاً لما ذكره الأصوليون، وكذلك "كتب النحو" لو طلبت معنى "الاستثناء" وأن الإخراج هل هو قبل الحكم أو بعد الحكم، ونحو ذلك من الدقائق التي تعرض لها الأصوليون، وأخذوها باستقراء خاص من كلام العرب، وأدلة خاصة لا تقتضيها صناعة "النحو". فهذا ونحوه مما تكفل به "أصول الفقه" ولا ينكر أن له استمداداً من تلك العلوم، ولكن تلك الأشياء التي استمدها منها لم تذكر فيه بالذات، بل بالعرض، والمذكور فيه بالذات ما أشرنا إليه مما لا يوجد إلا فيه، ولا يصل إلى فهمها إلا من جهة النظر الأصولي^(١).

هذا، لأن الأصوليين تناولوا في مقدماتهم اللغوية أبحاثاً صرفية، واشتقاقية، ونحوية، وبيانية.

(١) ابن السبكي علي بن عبد الكافي - المتوفى سنة (٧٥٦هـ) وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي - المتوفى سنة (٧٧١هـ) الإبهاج في شرح المنهاج مرجع سابق - ٧/١ وما بعدها.

وفي ذلك يقول أمين الخولي في كتابه "فن القول" : "لا يزال أصحاب كل علم من هذه العلوم يعدّون بحث الأصوليين فيه كان ينبغي الاتصال به، والوقوف عليه وفاءً بحقّ الدرس، وتقديراً لنزعتهم العلمية في تناولهم لهذه المسائل" (١).

ولهذا كان الشيخ صدر الدين بن المرحل - رحمه الله تعالى - يقول: ينبغي للإنسان أن يكون في الفقه قيماً، وفي الأصول راجحاً، وفي بقية العلوم مشاركاً (٢).

ولقد أصاب كبد الحقيقة في ذلك حيث إن هناك الكثير والكثير جداً من المسائل اللغوية التي تناولها الأصوليون في حين لم يلتفت إليها اللغويون بل وأطالوا القول فيها فمن ذلك:

(١) ما أثير حول قضية "الحقيقة والمجاز" فالأصوليون تناولوها من جانب الأصالة والفرعية لمفردات اللغة.

(٢) وما يتعلق بـ "العام والخاص" والنظرية الأصولية القائلة "ما من عام إلا ويتخيل تخصصه" وما كان لهذا الموضوع من تناول لدى العلماء العرب فيما يعرف بتحديد المعنى، وملاحظتهم بأن التطور من الاتساع إلى التضييق يعتبر تطوراً طبيعياً لتاريخ اللغة، وهو ما ذهب إليه أرباب الخصوص من الأصوليين.

(٣) وما ظهر في تناولهم للكثير من فروع البلاغة "في معرض حديثهم عن "العام والخاص، والتعريف والتكثير، والاستغراق من ناحية المفرد والجمع" وليس هذا فحسب بل أنهم قد توصلوا إلى أدق من ذلك

(١) ينظر: عبد الغفار السيد أحمد التصور اللغوي عند الأصوليين الناشر: مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م. ص/١٦٧.

(٢) ينظر: ابن بيه - عبد الله بن الشيخ المحفوظ - أمالي الدلالات ومجالي الاختلافات - مرجع سابق - ص/٢٧٨.

فوضعوا لـ "المجاز" علامات يعرف بها، وهو ما لم يطرقه علماء البلاغة أنفسهم.

(٤) وما توصل إليه الأصوليون من إثبات العلاقة بين المحتوى العقلي واللفظ، وأكدته الإمام الغزالي رحمه الله تعالى من ضرورة وجود الفكرة أولاً، ومهمة اللفظ في إخراجها ثانياً.

ولذا كانت أبحاثهم تدور حول المضمون عن طريق تحليل النص، ولم يتجهوا إلى معرفة المفاهيم اتجاهًا شكلياً، بل كانت آراؤهم تقوم على أساس من منطق اللغة العربية نفسها، كما أشار إليه الإمام الشافعي رحمه الله تعالى بقوله: "ما جهل الناس، ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس "ومن المعلوم أنه لم ينزل القرآن الكريم، ولا أتت السنة الشريفة إلا على مصطلح العرب، ومذاهبهم في المحاور، والتخاطب، والاحتجاج، والاستدلال، لا على مصطلح اليونان أو غيرهم، ولكل قوم لغة وقد قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)^(١)، فمن عدل عن لسان الشرع إلى لسان غيره، وخرج الوارد من نصوص الشرع عليه جهل وظل ولم يصب القصد"^(٢).

ولذا نرى أن الأصوليين قد نزعوا إلى منطقة اللغة العربية، واتجهوا في مسائلهم بهدي منها، وكانوا من خلال اللغة يتمكنون من الحكم على صحة الفكر أو خطئه، وكانت غايتهم من كل ذلك هي "خدمة الجانب العلمي من الاجتهاد في استخراج الأحكام".

(١) سورة: إبراهيم - آية: ٤.

(٢) ينظر: السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المتوفى سنة (٩١١هـ) شرح وتعليق: سامي النشار صون الكلام عن فن المنطق والكلام الناشر: مطبعة السعادة القاهرة: الطبعة الأولى ١٣٦٧. ٩٤٧م ص/٥٥.

٥) ومن الموضوعات التي ظهرت عند المحدثين في تقسيم جديد أيضاً هو موضوع الدلالة اللفظية "وقد تناوله الأصوليون في جملته، واعتبروا اللغة أصواتاً دالة، وقد تتغير تلك الدلالة بتغير بنية الكلمة، كما تتغير أيضاً بوضعها في تركيب".

ونجد في "علم اللغة" الحديث تفريعات لذلك بعد علوماً مستقلة، منها ما يتعلق بـ "الصوتية" وهو ما أطلقوا عليه (علم الصوت) (phonetique) وكذا الأبحاث المتصلة باشتقاق الكلمات وتصريفها، وتغير المعنى بتغير أبنيتها، ويطلقون على هذا البحث (علم البنية) (morphologie). كما تناولوا الأساليب والطرق التي سلكها في تطورها، وأطلقوا عليه (علم الأساليب) (stylistique). وحول دقة هذا التطور، واتساعه مما لمسه الأصوليون، يظهر ذلك في تناولهم لكل أنواع التطور الدلالي للفظ في محاولة منهم لتحديد الفكرة ومقصودها في النص - لمعرفة اتجاه الشارع - وفي الأساليب العامة، وقصد المتكلم، وما يستتبع ذلك في توجيه الدلالة بما يتفق وغرضه.

وعلى هذا فالأصوليون قد تناولوا "اللفظة" منذ نشأتها الأولى، منتبعين تطورها الدلالي في اللغة بعامة، وبخاصة بين الألفاظ الواردة في الشرع وما يساويها من الألفاظ الجارية على السنة أو أقلام المستعملين للغة.

٦) ما أظهره الأصوليون من موقف اللغة من صاحب النص، والتقسيم الثلاثي الذي ذكره الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في حديثه عن "البيان" من: إعلم، ودليل، وعلم. يدور كله حول "اللفظ" و "الفكرة" و "صاحب النص".

فمن الواجب معرفة طريقة اللغة، وأساليبها في التعبير لتعريف ما هو في حاجة إلى توضيح وإظهار، وما يستتبع ذلك من تحديد الفكرة للوصول إلى مقصد صاحب النص في تحقيق المصلحة الإنسانية.

وعلى هذا، فالدراسة الأصولية، وتحليلها للنصوص، ومحاولة التعمق بحثاً وراء مقصد الشارع، أو العلل التي توجه دلالتها كان سبباً من أسباب اتساع مجال البحث فيها، وأن هذا العمل لم يكن وفقاً على النص التشريعي وحده، بل تناول النص بصفة عامة، وكان متوجّه هذا العمل هو النفاذ إلى دقائق المعنى، وما دعاهم إلى ذلك إلا اتصالهم بالنصوص المقدسة من قرآن كريم وسنة شريفة. وعلى أية حال فقد اتسع النظر الأصولي، وظهر منه كثير من المسائل الشرعية الدقيقة، أنتجها البحث في مفردات اللغة، ودلالاتها وتنوع تلك الدلالة، وهو عمل جاد في الوصول إلى روح الشريعة، ومقصد صاحبها مما يربط بين النصوص والحياة الإنسانية بما يقودها قيادة سليمة. وعلى هذا فالتصور اللغوي عند الأصوليين يعتبر تصوراً عقلياً، يمكن أن يوصف بـ "التصور العلمي للغة"^(١).



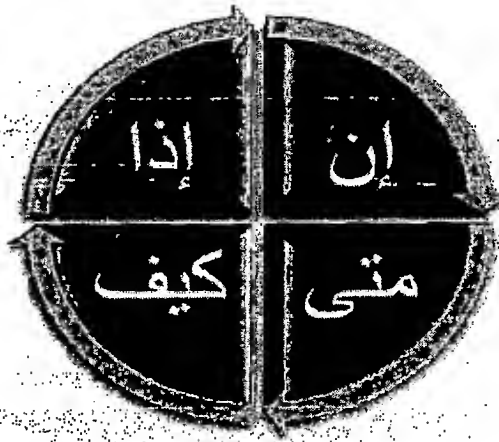
(١) عبد الغفار السيد أحمد التصور اللغوي عند الأصوليين مرجع سابق ص/ ١٧٢+٨

المسألة الأولى: حرف (إن)

"حروف الشرط" أي "كلمات الشرط" أو "ألفاظ الشرط" وتسميتها "حروفاً" باعتبار أن الأصل فيها كلمة "إن" وهو حرف، فهو الأصل في هذا الباب؛ لأنه اختص بمعنى "الشرط" ليس له معنى آخر سواه، بخلاف سائر ألفاظ الشرط فإنها تستعمل في معانٍ آخر سواه (١).

وسنتناول في هذا المبحث - إن شاء الله تعالى - "أربعة" حروف منها هي:

أدوات الشرط



لابتداء كثير من المسائل الفقهية عليها. ولينبدأ بالحرف الأول منها ،

وهو ((إن))



(١) ينظر: البخاري - علاء الدين عبد العزيز بن أحمد، المتوفى سنة (٧٣٠هـ) - كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البردوي - مرجع سابق - ٢٨٩/٢.

فاعلم ، أن حرف "إن" موضوع للشرط، أي: للدلالة على كينونة ما بعده شرطاً، فيربط إحدى الجملتين بالأخرى على أن تكون الأولى شرطاً والثانية جزاء يتعلق وقوعها بوقوع الأولى.

كقولك: إن تأتني أكرمك، يتعلق "الإكرام" بـ "الإتيان".

هذا، وتدخل "إن" على كل أمر معدوم على خطر، أي: متردد بين أن يوجد وبين أن لا يوجد، وهو احتراز عن المستحيل، وعن الفعل المتحقق لا محالة، كمجيء الغد بالنظر إلى العادة. فلا يقال: إن طلعت الشمس خرجت. لأن "الشمس" طالعة - بإذن الله تعالى - خرجت أو لم تخرج.

وبناءً عليه إذا قال الرجل لامرأته: إن لم أطلقك فأنت طالق ثلاثاً، فإنها تطلق في آخر حياة الزوج أو حياتها هي، لأن عدم الطلاق - وهو الشرط الذي علق عليه - لا يتحقق إلا قبيل الوفاة. إذ أنه في تلك الحالة يتحقق عجزه عن إيقاع الطلاق، فيتحقق شرط الحنث وترثه - إن كان قد دخل بها - بحكم الفرار.

وإن كانت غير مدخولة فلا ترثه، ووجب لها نصف المهر، ولا عدة عليها.

وإن كانت هي الميت فلا يرث منها، وكان عليه نصف المهر إن لم يكن دخل بها وإلا فتمامه^(١).

(١) ينظر: النسفي - أبو البركات عبد الله بن أحمد - المتوفى سنة (٥٧١٠هـ) - كشف الأسرار - شرح المصنف على "المنار" - مرجع سابق - ٣٥٤/١، ابن أمير الحاج - المتوفى سنة (٨٧٩هـ) - التقرير والتحبير - مرجع سابق - ٧٢/٢، أمير بادشاه محمد أمين تيسير التحرير على كتاب "التحرير" في أصول الفقه - مرجع سابق - ١٢٠/٢، ابن عبد الشكور - محب الله ابن عبد الشكور، المتوفى سنة (١١١٩هـ) - مسلم الثبوت - مرجع سابق - ٢٤٨/١.

تنبيه:

أولاً: لا يتعقب "إن" اسم؛ لأن معنى "الخطر" في الأسماء لا يتحقق.

ودخولها في الاسم، نحو قوله تعالى: {لَيْسَتْ فُتُونُكَ قُلُ اللّٰهُ يُفْتِكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَآئِكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ} ^(١)، وقوله تعالى: {وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا} ^(٢)، من قبيل الاضمار على شرطية التفسير، أو من باب التقديم والتأخير؛ لأن أهل اللغة مجمعون على أن الذي يتعقب حرف الشرط هو الفعل دون الاسم ^(٣).

ثانياً: الغالب استعمال "إن" فيما يمكن وقوعه، نحو قوله تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} ^(٤)، إلا أنها إذا استعملت فيما لا بد من وقوعه فلا تستعمل إلا فيما كان زمن وقوعه مبهماً ولهذا دخلت في قوله تعالى: {وَلَكِنْ مَتُمْ أَوْ قُتِلْتُمْ إِلَى اللّٰهِ تُخْشَرُونَ} ^(٥).

فإن علم زمن وقوعه فلا تستعمل فيه، فلا يصح أن يقال: إن أحمر البسر فأنتي. فإن أحمراره لا بد منه، ووقته معلوم بالتقريب ^(٦).

ثالثاً: أن "إن" و "إذا" يشتركان في عدم الدخول على المستحيل إلا لنكته، نحو قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} ^(٧).

(١) سورة: النساء - آية: ١٢٦.

(٢) سورة: النساء - آية: ١٢٨.

(٣) ينظر: النسفي - أبو البركات عبد الله بن أحمد - المتوفى سنة (٥٧١هـ) - كشف الأسرار - شرح المصنف على "المنار" - مرجع سابق - ٣٥٤/١، البخاري - علاء الدين عبد العزيز بن أحمد، المتوفى سنة (٧٣٠هـ) - كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي - مرجع سابق - ٢٨٩/٢.

(٤) سورة: آل عمران - آية: ١٤٤.

(٥) سورة: آل عمران - آية: ١٥٨.

(٦) ينظر: النسفي - أبو البركات عبد الله بن أحمد - المتوفى سنة (٥٧١هـ) - كشف الأسرار - شرح المصنف على "المنار" - مرجع سابق - ٣٥٥/١، الزركشي - بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر - المتوفى سنة (٧٩٤هـ) - البحر المحيط في أصول الفقه - قام بتحريره: عمر سليمان الأشقر - مرجع سابق ٢٧٨/٢.

(٧) سورة: الزخرف - آية: ٨١.

وتنفرد "إن" بالمشكوك فيه والموهوم.

وتنفرد "إذا" بالمجزوم به. وهل تدخل على المظنون؟ فيه خلاف (١).

رابعاً: تجيء "إن":

(١) للنفي إن تلاها "إلا"، نحو قوله تعالى: {إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ} (٢)، أي: ما.

أو "لما" نحو قوله تعالى: {إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ} (٣) (٤).

أو غيرهما، نحو قوله تعالى: {إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (٥) (٦).

قال الزركشي: وفي هذا ردّ على من أدعى ملازمة "إن" لـ "إلا" و "لما" (٧).

(١) ينظر: الزركشي - بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر - المتوفى سنة (٧٩٤هـ) - البحر المحيط في أصول الفقه - قام بتحريره: عمر سليمان الأشقر - مرجع سابق - ٢/٢٧٨.

(٢) سورة: الملك - آية: ٢٠.

(٣) سورة: الطارق - آية: ٤.

(٤) والكوفيون يزعمون أن "إن" بمعنى "ما" و "لما" بمعنى "إلا" والتقدير عندهم: ما كل نفس إلا عليها حافظ.

(٥) ينظر: الرماني: أبو الحسن علي بن عيسى - المتوفى سنة (٣٨٤هـ) - معاني الحروف - تحقيق: عرفان بن سليم حسونة - مرجع سابق - ص/٥٠.

(٦) سورة: يونس - آية: ٦٨.

(٧) ينظر: ابن السبكي - تاج الدين عبد الوهاب بن علي - المتوفى سنة (٧٧١هـ) - جمع الجوامع - مرجع سابق - ١/٢٣٦، الزركشي - بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر - المتوفى سنة (٧٩٤هـ) - البحر المحيط في أصول الفقه - قام بتحريره: عمر سليمان الأشقر - مرجع سابق - ٢/٢٧٨، الرماني - أبو الحسن علي بن عيسى - المتوفى سنة (٣٨٤هـ) - معاني الحروف - تحقيق: عرفان بن سليم حسونة - مرجع سابق - ص/٤٩.

المالقي - أحمد بن عبد النور - المتوفى سنة (٧٠٢هـ) - رصف المباني في شرح حروف المعاني - تحقيق: أحمد محمد الخراط - مرجع سابق - ص/١٠٤، الإربلي - علاء الدين علي بن محمد - المتوفى سنة (٧٤١هـ) - جواهر الأدب في معرفة كلام العرب - تحقيق: حامد أحمد نبيل - مرجع سابق - ص/٢٤٣، المرادي - الحسن بن قاسم، المتوفى سنة (٧٤٩هـ) - الجني الداني في حروف المعاني - تحقيق: فخر الدين قباوه + محمد نديم فاضل - مرجع سابق - ص/٢٠٧، ابن هشام - أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف - المتوفى سنة (٧٦١هـ) - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - تحقيق: مازن المبارك + محمد علي حمد الله - مرجع سابق - ١/٢٢، ابن فارس - أحمد بن زكريا الرازي - المتوفى سنة (٨٩٥هـ) - الصاحبي - تحقيق: عمر فاروق الطباع - مرجع سابق - ص/١٣٤.

(٧) ينظر: الزركشي - بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر - المتوفى سنة (٧٩٤هـ) - البحر المحيط في أصول الفقه - قام بتحريره: عمر سليمان الأشقر - مرجع سابق - ٢/٢٧٨.

(٢) وتكون بمعنى "إذ"، - عند الكوفيين - نحو قوله تعالى: {وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ} (١).

(٣) وتكون بمعنى "قد"، نحو قوله تعالى: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى} (٢).

(٤) أن تكون مخففة عن الثقل، فتدخل على الجمالتين، فإن دخلت على الإسمية جاز إعمالها خلافاً للكوفيين، نحو قوله تعالى: {وَإِنْ كُنَّا لَمَّا لَيُوقِفْنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ} (٣).

وإن دخلت على الفعل أهملت وجوباً، نحو قوله تعالى: {وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ} (٤).

(٥) أن تكون زائدة، كقول فروة بن مسيك:

فما إن طيبنا جُبْنَ ولكن مَنّاياتنا ودلة آخرينا (٥)

خامساً: قد تقترب "إن" بـ "لا" النافية، فيظن من لا معرفة له أنها "إلا" الاستثنائية نحو قوله تعالى: {إِلَّا تَتَصَرَّوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ} (٦)، إلا أنها إذا استعملت فيما لا بد من وقوعه فلا تستعمل إلا فيما كان زمن وقوعه مبهماً - كما ذكرنا آنفاً - ولهذا دخلت في قوله تعالى: {وَالَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (٧) (٨).



(١) سورة: آل عمران - آية: ١٣٩.

(٢) سورة: الأعراف - آية: ٩.

(٣) سورة: هود - آية: ١١١.

(٤) سورة: البقرة - آية: ١٤٣.

(٥) ينظر: ابن هشام - أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف - المتوفى سنة (٥٧٦هـ) - مغني اللبيب عن

كتب الأعراب - تحقيق: مازن المبارك + محمد علي حمد الله - مرجع سابق - ٢٥/١.

(٦) سورة: التوبة - آية: ٤٠.

(٧) سورة: هود - آية: ٤٧.

(٨) ينظر: المرجع السابق - ٢٢/١.

المسألة الثانية: حرف (إذا)

"إذا" تأتي على أوجه (١):

أحدها: أن تكون للمفاجأة، فتختص بالجملة الاسمية، ولا تحتاج إلى جواب، ولا تقع في الابتداء، ومعناها: الحال لا الاستقبال، نحو: خرجت فإذا الأسد بالباب. ومنه قوله تعالى: {قَالِقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى} (٢).

الثاني: أن تكون لغير مفاجأة، فالغالب أن تكون ظرفاً للمستقبل مضمنة معنى الشرط، وتختص بالدخول على الجملة الفعلية - عكس "الفجائية" - وقد اجتمعا في قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ} (٣)، وقوله تعالى: {فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} (٤)، ويكون الفعل بعدها ماضياً كثيراً، ومضارعاً دون ذلك،

(١) ينظر في المعاني التي ترد لها "إذا": السرخسي - أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل - المتوفى سنة (٤٩٠هـ) - أصول السرخسي - حققه: أبو الوفا الأفعاني - مرجع سابق - ٢٣٢/١، القرافي - شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس - المتوفى سنة (٦٨٤هـ) - شرح تنقيح الفصول - في اختصار "المحصول في الأصول" - تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد - مرجع سابق - ص/١٠٦، ابن السبكي - تاج الدين عبد الوهاب بن علي - المتوفى سنة (٧٧١هـ) - جمع الجوامع - مرجع سابق - ٣٤١/١، الزركشي - بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر - المتوفى سنة (٧٩٤هـ) - البحر المحيط في أصول الفقه - قام بتحريره: عمر سليمان الأشقر - مرجع سابق - ٣٠٦/٢، النسفي - أبو البركات عبد الله بن أحمد - المتوفى بنبنة (٧٦١هـ) - كشف الأسرار - شرح المصنف علي "المنار" - مرجع سابق - ٣٥٦/١، البخاري - علاء الدين عبد العزيز بن أحمد، المتوفى سنة (٧٣٠هـ) - كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام اليزيدي - مرجع سابق - ٢٩١/٢، ابن أمير الحاج - المتوفى سنة (٨٧٩هـ) - التقرير والتحيز - مرجع سابق - ٧٣/٢، ابن عبد الشكور - محب الله ابن عبد الشكور، المتوفى سنة (١١١٩هـ) - مسلم الثبوت - مرجع سابق - ٢٤٨/١، المالقي - أحمد بن عبد النور - المتوفى سنة (٧٠٢هـ) - رصف المباني في شرح حروف المعاني - تحقيق: أحمد محمد الخراط - مرجع سابق - ص/٦١، ابن هشام - أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف - المتوفى سنة (٧٦١هـ) - مخني اللبيب عن كتب الأعراب - تحقيق: مازن المبارك + محمد علي حمد الله - مرجع سابق - ٨٧/١، محمد عبد العزيز النجار - ضياء السالك إلى أوضح المسالك - وهو صفوة الكلام على توضيح "ابن هشام" - مرجع سابق - ٣٥٢/٢، عوض أحمد إدريس - الوجيز في أصول الفقه - الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت - لبنان - الطبعة: الثانية - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م - ص/١٣٢.

(٢) سورة: طه - آية: ٢٠.

(٣) سورة: الروم - آية: ٢٥.

(٤) سورة: الروم - آية: ٤٨.

وقد اجتمعا في قول أبي ذؤيب:

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْتَعُ^(١)

ومع تضمنها معنى الشرط لم يجزم بها إلا في الشعر، كقول النمر

بن توكب:

وَإِذَا تُصَبِّكُ خِصَاصَةً فَارْجُ الْغِنَى

وإلى الذي يُعْطِي الرِّغَائِبَ فَارْغَبْ^(٢)

وإنما لم يجزم لمخالفتها "إن" الشرطية، وذلك لأن "إذا" لما تيقن

وجوده أو رجح، بخلاف "إن" فإنها للمشكوك فيه، وقد تدخل على المتيقن

وجوده إذا أبهم زمانه، كقوله تعالى: {أَفَإِنْ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ}^(٣).

وقد تدخل على المستحيل، كقوله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ

فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ}^(٤).

وأجاز الكوفيون: الجزم بـ "إذا" مطلقاً.

ومذهب سيبويه أن "إذا" لا يليها إلا فعل ظاهر، أو مقدر.

فالظاهر، كقوله تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}^(٥)

والمقدر، كقوله تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ}^(٦)، ولا يجوز غير

ذلك^(٧).

(١) ينظر: ابن هشام - أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف - المتوفى سنة (٥٧٦١هـ) - مغني اللبيب عن كتب الأعراب - تحقيق: مازن المبارك + محمد علي حمد الله - مرجع سابق - ٨٧/١ وما بعدها - وكذا - ابن التجار - محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوح الحنبلي، المتوفى سنة (٩٧٢هـ) شرح الكوكب المنير تحقيق: محمد الزحيلي - نزيه حماد - مرجع سابق - ٢٧٢/١ وما بعدها.

(٢) ينظر: المرادي - الحسن بن قاسم، المتوفى سنة (٧٤٩هـ) - الجنى الداني في حروف المعاني - تحقيق: فخر الدين قباوه + محمد نديم فاضل - مرجع سابق - ص/٣٦٧.

(٣) سورة: الأنبياء - آية: ٣٤.

(٤) سورة: الزخرف - آية: ٨١.

(٥) سورة: النصر - آية: ١.

(٦) سورة: الإنشقاق - آية: ١.

(٧) ينظر: المرادي - الحسن بن قاسم، المتوفى سنة (٧٤٩هـ) - الجنى الداني في حروف المعاني - تحقيق: فخر الدين قباوه + محمد نديم فاضل - مرجع سابق - ص/٣٦٧ وما بعدها.

الثالث: أن تكون ظرفاً لما يستقبل من الزمان، مجردة من معنى الشرط، نحو قوله تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى^(١)، وقوله تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى^(٢)، والماضي بعدها في معنى المستقبل، كما كان بعد المتضمنة معنى الشرط^(٣).

الرابع: أن تكون ظرفاً لما مضى من الزمان، واقعة موقع "إِذَا" كقوله تعالى: { وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ^(٤)، وقوله تعالى: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا^(٥).

الخامس: أن تخرج عن الظرفية، فتكون اسماً مجرور بـ "حتى" كقوله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا^(٦).

ف "إِذَا" في ذلك فيها وجهان:

أ- أن تكون مجرورة بـ "حتى".

ب- أن تكون "حتى" ابتدائية، و "إِذَا" في موضع نصب على ما استقر لها.

(١) سورة: الليل - آية: ١.

(٢) سورة: النجم - آية: ١.

(٣) قال الفراء: لا يكون بعدها الماضي إلا إذا كان فيها معنى الشرط والإيهام، ومنه قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى} "سورة: آل عمران - آية: ١٠٦".

كانه قال: كلما ضربوا أي: لا تكونوا كهؤلاء إذا ضرب إخوانهم في الأرض.

(ينظر: المرادي - الحسن بن قاسم، المتوفى سنة ٧٤٩هـ) - الجنى الداني في حروف المعاني - تحقيق: فخر الدين قباوه + محمد نديم فاضل - مرجع سابق - ص/٣٧٠.

(٤) سورة: التوبة - آية: ٩٢.

(٥) سورة: الجمعة - آية: ١١.

(٦) سورة: الزمر - آية: ٧١.

السادس: أن تخرج عن الظرفية فتكون "مبتدأه" كقوله تعالى: {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} ^(١)، ف "إذا" مبتدأ، وقوله تعالى: {إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا} ^(٢)، خبره.

السابع: أن تخرج عن الظرفية فتكون مفعولاً به. كقوله عليه الصلاة والسلام للسيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: "إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي" ^(٣). قال المرادي: والظاهر أنها لا تكون مبتدأ ولا مفعولاً، وأنها لا تخرج عن الظرفية، وما استدل به محتمل للتأويل.

تنبيه:

أولاً: اعلم أن مذهب أهل اللغة والنحو من الكوفيين فيها أنها تصلح للوقت والشرط على السواء. فيجazy بها مرة ولا يجazy بها أخرى، فإذا جوزي بها فإنما يجazy بها على سقوط الوقت عنها، كأنها حرف شرط. وهو قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى.

وأما البصريون - من أهل اللغة والنحو - فقد قالوا: إنها للوقت، وقد تستعمل للشرط من غير سقوط الوقت عنها. وهو قول أبي يوسف ومحمد - رحمهما الله تعالى.

وعلى هذا اختلفوا فيما إذا قال الرجل لامرأته: إذا لم أطلقك فأنت طالق. لا يقع الطلاق حتى يموت أحدهما، مثل قوله: "إن لم أطلقك"، عند أبي حنيفة.

(١) سورة: الواقعة - آية: ١.

(٢) سورة: الواقعة - آية: ٤.

(٣) ينظر: ابن حجر - الحافظ شهاب الدين العسقلاني، المتوفى سنة (٥٨٥٠هـ) - فتح الباري بشرح صحيح

البخاري - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - الطبعة: الرابعة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - كتاب

النكاح - باب: غيرة النساء ووجدهن - ٢٦٥/٩.

وقال الصحبان: يقع بمجرد الفراغ من اليمين، مثل قوله: "متى لم أطلقك"، لأن "إذا" اسم للوقت بمنزلة سائر الظروف، وتدخل على أمر كائن، أي: موجود في الحال^(١).

ثانياً: قال الزركشي - قال أصحابنا - في كتاب "الخلع" - لو قال: إذا أعطيتي ألفاً فأنت طالق. اشترط إعطاؤها على الفور. وليس ذلك من جهة الصيغة، ولهذا ألحقوا بها "إن" في ذلك^(٢).

ثالثاً: قال القرافي: إن "إذا" وإن كانت مطلقة في الزمان، مثل "إن" لكنها تدل على الزمان مطابقة؛ لأنها من أسمائه.

و"إن" وإن كانت مطلقة في الزمان مثل "إذا" إلا أنها لا تدل على الزمان إلا بطريق الالتزام؛ لأنها لم توضع للزمان بل لربط أمر ما بما دخلت عليه، وذلك لا بد فيه من الزمان، فدلّت على الزمان التزاماً. وبالجمله: هذه قاعدة شريفة يُعلم منها مباحث كثيرة في الأصول والفروع فينبغي أن تضبط^(٣).

رابعاً:

تختلف "إذا" الفجائية عن "إذا" الشرطية في سنة أوجه:

أ- أن "إذا" الشرطية لا يليها إلا جملة فعلية، و "إذا" الفجائية لا يليها إلا جملة اسمية. كما ذكرنا آنفاً.

(١) ينظر: البخاري - علاء الدين عبد العزيز بن أحمد، المتوفى سنة (٧٢٠هـ) - كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام اليزدي - مرجع سابق - ٢٩٦/٢ - وكذا - السرخسي - أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهيل - المتوفى سنة (٤٩٠هـ) - أصول السرخسي - حققه: أبو الوفاء الأفعلي - مرجع سابق - ٣٢٢/١، ابن عبد الشكور - محب الله ابن عبد الشكور، المتوفى سنة (١١١٩هـ) - مسلم الثبوت - مرجع سابق - ٢٤٩/١.

(٢) ينظر: الزركشي - بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر - المتوفى سنة (٧٩٤هـ) - البحر المحيط في أصول الفقه - قام بتحريره: عمر سليمان الأشقر - مرجع سابق - ٣٠٨/٢.

(٣) ينظر: القرافي - شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس - المتوفى سنة (٦٨٤هـ) - شرح تنقيح الفصول - في اختصار "المحصول في الأصول" - تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد - مرجع سابق - ص/١٠٧.

ب- "إذا" الشرطية تحتاج إلى جواب، و "إذا" الفجائية لا جواب لها.

ج- "إذا" الشرطية للاستقبال، و "إذا" الفجائية للحال.

د- أن الجملة بعد "إذا" الشرطية في موضع خفض بالإضافة، والجملة بعد "إذا" الفجائية لا موضع لها.

ه- "إذا" الشرطية تقع في صدر الكلام، و "إذا" الفجائية لا تقع صدرًا^(١).

و- الاسم بعد "إذا" الفجائية يعرب "مبتدأ" نحو قوله تعالى: {وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا}^(٢)، وقد يضمن "الخبر" شريطة تكرير "الحال" مثل: خرجت فإذا المعلم واقفاً.

وتأتي أحياناً بعدها "ما" الزائدة، نحو قول الشاعر:

إذا ما الجرح رمَّ على فسار تبين فيها همال الطبيب^(٣)

المسألة الثالثة: حرف (متى)

"متى" تأتي على خمسة أوجه:

أولاً: اسم استفهام، نحو قوله تعالى: {إِذْ قَالَ الرَّسُولُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}، أمثلاً معاً متى نصر الله^(٤).

ثانياً: اسم شرط، كقول الشاعر:

أنا ابن جلا وطلاغ الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

(١) ينظر: المرادي - الحسن بن قاسم، المتوفى سنة (٥٧٤٩هـ) - الجنى الذاتي في حروف المعاني - تحقيق: فخر الدين قباوه + محمد نديم فاضل - مرجع سابق - ص/٣٧٢.

(٢) سورة: الأنبياء - آية: ٩٧.

(٣) ينظر: فهد خليل زايد - الحروف معانيها مخارجها وأصواتها في لغتنا العربية - مرجع سابق - ص/٨٣.

(٤) سورة: البقرة - آية: ٢١٤.

أدوات الشرط

فكر وإبداع

من منظور الأصوليين واللغويين

ثالثاً: اسم مرادف للوسط.

رابعاً: حرف بمعنى "من".

خامساً: حرف بمعنى "في" وذلك في لغة هذيل، يقولون: أخرجها منى كمة. أي: منه (١).

واختلف في قول بعضهم: "وضعت منى كمي"

فقيل: بمعنى "في"

وقيل: بمعنى "وسط" (٢).

تنبيه:

أولاً: أن "منى" اسم للوقت المبهم بلا اختصاص - أي: لا يختص وقتاً دون وقت، فلذلك كان مشاركاً لـ "أن" في الإبهام لتردد ما دخل عليه "منى" بين أن يوجد وبين أن لا يوجد كما في كلمته "إن"، فلزم في باب "المجازاة"، وجزم بها مثل "إن" كـ "منى تذهب أذهب" وقول الشاعر:

منى تأتية تعشؤ إلى ضوء ناره

تجد خير نار عندها خير موقد (٣)

لكن مع قيام الوقت؛ لأن ذلك حقيقتها، بعكس "إذا"

(١) ينظر: ابن هشام - أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف - المتوفى سنة (٧٦١هـ) - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - تحقيق: مازن المبارك + محمد علي حمد الله - مرجع سابق - ٣٣٤/١ - وكذا - الإربلي - علاء الدين علي بن محمد - المتوفى سنة (٧٤١هـ) - جواهر الإلب في معرفة كلام العرب - تحقيق: حامد أحمد نبيل - مرجع سابق - ص/٦٦، المرادي - الحسين بن قاسم، المتوفى سنة (٧٤٩هـ) - الجنى الداني في حروف المعاني - تحقيق: فخر الدين قباوه + محمد نديم فاضل - مرجع سابق - ص/٥٠٥، ابن فارس - أحمد بن زكريا الرازي - المتوفى سنة (٨٩٥هـ) - الصحابي - تحقيق: عمر فاروق الطباع - مرجع سابق - ص/١٨٠.

(٢) ينظر: ابن هشام - أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف - المتوفى سنة (٧٦١هـ) - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - تحقيق: مازن المبارك + محمد علي حمد الله - مرجع سابق - ٣٣٤/١.

(٣) ينظر: التفتازاني - سعد الدين مسعود ابن عمر - المتوفى سنة (٧٩٢هـ) - شرح التلويح على التوضيح - مرجع سابق - ١٢١/١.

وبناء عليه: إذا قال الرجل لزوجته: متى لم أطلقك فأنت طالق. فإنه يقع الطلاق عقيب اليمين بلا فصل؛ لوجود شرط الحنث، وهو الوقت الخالي عن الإيقاع.

وإذا قال: طلقي نفسك متى شئت. فإن المرأة تكون مخيرة في إيقاع الطلاق حسب مشيئتها، سواء أكان ذلك في مجلس الخيار، أم فيما وراءه؛ لأن "متى" باعتبار إبهامه يعم الأزمنة كلها (١).

ثانياً: تعرب "متى الاستفهامية" اسم استفهام مبني في محل نصب على الظرفية الزمانية.

وتعرب "متى الشرطية" اسم شرط جازم مبني في محل نصب على الظرفية الزمانية (٢).

ثالثاً: تأتي "إذا" زائدة بعد "متى" كقول الأعشى:

متى ما تُناخي عند باب ابن هاشم
تُراحي وتلقني من فواضله يد (٣)

المسألة الرابعة: حرف (كيف)

ويقال فيه "كي" كما يقال في "سوف": سوف.

قال الشاعر:

كي تجتحنون إلى سلّم وما ثُرت

(١) ينظر: النسفي - أبو البركات عبد الله بن أحمد - المتوفى سنة (٧١٠م) - كشف الأسرار - شرح المصنف على "المنار" - مرجع سابق - ٣٥٩/١، البخاري - علاء الدين عبد العزيز بن أحمد، المتوفى سنة (٧٣٠هـ) - كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام اليزدي - مرجع سابق - ٢٩٥/٢، ابن أمير الحاج - المتوفى سنة (٨٧٩هـ) - التقرير والتحبير - مرجع سابق - ٧٢/٢، أمير بادشاه محمد أمين تيسير التحرير على كتاب "التحرير" في أصول الفقه الجامع بين اصطلاح الحنفية والشافعية: لكمال الدين الإسكندري الحنفي - مرجع سابق - ١٢١/٢، ابن عبد الشكور - محب الله ابن عبد الشكور، المتوفى سنة (١١١٩هـ) مسلم الثبوت - مرجع سابق - ٢٤٨/١.

(٢) ينظر: الأسمر - جرجس عيسى - قاموس الأعراب - مرجع سابق - ص/١٠٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق.

فَتَلَاكُمُ وَلَظَى الْهَيْجَاءِ تَضْطَرُّمٌ؟^(١)

وهو اسم لدخول الجار عليه بلا تأويل في قولهم: على كيف تبيع
الأحمرين - وهما: الخمر واللحم.

ولإبدال الاسم الصريح منه، نحو: كيف أنت؟ صحيح أم سقيم؟.
ولالإخبار به مع مباشرته الفعل، في نحو: كيف كنت؟ فبالإخبارية
انتفت الحرفية، وبمباشرة الفعل انتفت الفعلية.

وتأتي على أوجه:

أولاً: أن تكون شرطاً، فتقضي فعلين متفقي اللفظ والمعنى غير
مجزومين، نحو: "كيف تصنع أصنع".

ولا يجوز "كيف تجلس أذهب" باتفاق.

ولا "كيف تجلس أجلس" بالجزم عند البصريين إلا قطرباً؛ لمخالفتها
لأدوات الشرط بوجوب موافقة جوابها لشرطها.

وقيل: يجوز مطلقاً، وإليه ذهب قطرب والكوفيون.

وقيل: يجوز بشرط اقترانها بـ "ما".

ومن ورودها شرطاً، نحو قوله تعالى: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ
كَيْفَ يَشَاءُ}^(٢)، وقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ}^(٣)،

(١) ينظر: ابن هشام - أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف - المتوفى سنة (٥٧٦١هـ) - مغني اللبيب عن
كتب الأعراب - تحقيق: مازن المبارك + محمد علي حمد الله - مرجع سابق - ٢٤/١، فهد خليل زايد -
الحروف معانيها مخرجها وأصواتها في لغتنا العربية - مرجع سابق - ص/١٤٥.

(٢) سورة: المائدة - آية: ٦٤.

(٣) سورة: آل عمران - آية: ٦.

وقوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ} (١).

وجوابها في ذلك كله محذوف؛ لدلالة ما قبلها.

وهذا يُشكل على إطلاقهم أن جوابها يجب مماثلته لشرطها (٢).

الثاني: وهو الغالب فيها: أن تكون استفهاماً:

- إما حقيقياً، نحو "كيف زيد".
 - أو حالاً لا سؤال معه، كقولك: "لا أكرمك كيف كنت" أي: على أي حال كنت.
 - أو تعجباً، وعلى هذين الوجهين يفسر قوله تعالى: {فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ} (٣).
- قالوا: معناها "على أي حال قدر" وتعجب أيضاً.
- ومن التعجب - كذلك - قوله جل ثناؤه: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ} (٤)(٥).

الثالث: قد يكون "كيف" بمعنى "النفي" كقوله تعالى: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ} (٦).

(١) سورة: الروم - آية: ٤٨.

(٢) سورة: الروم - آية: ٤٨.

(٣) قال ابن أمير الحاج: لأن التقدير كيف يشاء أن ينفق ينفق، كيف يشاء أن يصوركم يصوركم، كيف يشاء أن يبسطه يبسطه، اللهم إلا أن يقال: الشرط - هنا - لما كان مقيداً بمماثل للجزء كان في معنى المماثلة ولا يعرى عن تأمل.

(ينظر: ابن أمير الحاج - المتوفى سنة (٨٧٩هـ) - التقرير والتحبير - مرجع سابق - ٧٤/٢، ابن هشام - أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف - المتوفى سنة (٧٦١هـ) - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - تحقيق: مازن المبارك + محمد علي حمد الله - مرجع سابق - ٢٠٤/١).

(٤) سورة: البقرة - آية: ٢٨.

(٥) ينظر: ابن أمير الحاج - المتوفى سنة (٨٧٩هـ) - التقرير والتحبير - مرجع سابق - ٧٤/٢، ابن هشام - أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف - المتوفى سنة (٧٦١هـ) - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - تحقيق: مازن المبارك + محمد علي حمد الله - مرجع سابق - ٢٠٥/١.

(٦) سورة: التوبة - آية: ٧.

وقول سويد بن أبي كاهل اليشكري:

كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعَمَّا لَاحَ فِي الرَّأْسِ مَشْيِبٌ وَصَلَعٌ ^(١).
الرابع: ويكون "كيف" توبيخاً ^(٢)، كقوله جل ثناؤه: {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} ^(٣)

تنبيه:

أولاً: أعلم أن "كيف" للسؤال عن الحال في أصل وضع اللغة، فإن استقام السؤال عن الحال فيها وإلا بطل.

والمراد بـ "استقامة السؤال" أن يكون ذلك الشيء ذا كيفية وحال، كقولك: كيف زيد؟ أي: صحيح هو أم سقيم - ولذلك قال الإمام أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - في قوله: أنت حر كيف شئت - إنه إيقاع، ويلغي قوله: "كيف شئت" لأنه لا حال الحرية فلا يتعلق بمشيئته.

وعند أصحابين: لا يقع العتق ما لم يشأ العبد في المجلس.

• وفي "الطلاق" إذا قال لها: أنت طالق كيف شئت. تقع "الواحدة" إذا كان غير مدخول بها، ويلغو آخر كلامه.

• وإن دخل بها وقعت واحدة رجعية في الحال، ويبقى الفضل في الوصف - أي: البائن والقدر - أي: الثلاث - مفوضاً إليها بشرط نية الزوج، فإن اتفقت نيتهما يقع ما نوي.

• وإن اختلفت نيتهما فيتعارض الأمران، فيتباطلان فيبقى أصل الطلاق، وهو "الطلاق الرجعي".

(١) ينظر: ابن فارس: أحمد بن زكريا الرازي - المتوفى سنة (٨٩٥هـ) - الصاحبى - تحقيق: عمر فاروق الطباع - مرجع سابق - ص/١٦٣.
(٢) ينظر: المرجع السابق.
(٣) سورة: آل عمران - آية: ١٠١.

وعند الصاحبين: مالم يقبل الإشارة فحاله ووصفه بمنزلة أصله فيتعلق الأصل بتعلقه.

وهذا مبني على قاعدة عندهما، وهي: كل ما كان من الأمور الشرعية الغير المحسوسة كالطلاق، والعنق، والبيع، والنكاح - فالحال والأصل بمنزلة واحدة؛ إذ هما غير محسوسين، فلا معنى لجعل أحدهما واقعاً والآخر موقوفاً، بل يعلق الأصل بالمشيئة، كما تعلق الوصف بها، فلا يقع ما لم يشأ؛ وذلك لئلا يلزم الترجيح بلا مرجح.

علماً بأن صحة مشيئة الزوجة مترتبة على نية الزوج (١).

قال صاحب التلويح: قد يظن من سياق الكلام أن "كيف" من كلمات "الشرط" على ما هو رأي الكوفيين، وعلى ما هو القياس، بناءً على أنها للحال، والأحوال شروط، إلا أنها تدل على أحوال ليست في يد العبد - أي: ليست اختيارية غالباً - مثل: الصحة والسقم والكهولة، فلم يصح التعليق بها إلا إذا ضمت إليها "ما" نحو: كيفما تصنع أصنع.

قال صاحب التحرير: وليس بل لازم في الشرط ضده - أي: ضد الاختيار، ولا غير الاختيار - بل تارة وتارة، ألا ترى في كيف كان ترميض زيد؟ وكيف تجلس أجلس، فإن كيفية الترميض والجلوس تكون اختيارية وغير اختيارية، والأول: للسؤال، والثاني: للشرط والحال، ولم تتضمن كلمة "ما" إليها (٢).

(١) ينظر: التنقيح - أبو البركات عبد الله بن أحمد - المتوفى سنة (٥٧١هـ) - كشف الأسرار - شرح المصنف على "المنار" - مرجع سابق - ٣٦٠/١، البخاري - علاء الدين عبد العزيز بن أحمد، المتوفى سنة (٧٣٠هـ) - كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البيهقي - مرجع سابق - ٢٠٠/٢، التفتازاني - سعد الدين مسعود ابن عمر - المتوفى سنة (٥٩٧هـ) - شرح التلويح على التوضيح - مرجع سابق - ١٢١/١، ابن عبد الشكور - محب الله ابن عبد الشكور، المتوفى سنة (١١١٩هـ) - منبسط الثبوت - مرجع سابق - ٢٤٩/١.
(٢) ينظر: التفتازاني - سعد الدين مسعود ابن عمر - المتوفى سنة (٧٩٢هـ) - شرح التلويح على التوضيح - مرجع سابق - ١٢١/١، ابن أمير الحاج - المتوفى سنة (٨٧٩هـ) - التقرير والتحبير - مرجع سابق - ٧٤/٢، أمير بادشاه محمد أمين تيسير التحرير على كتاب "التحذير" في أصول الفقه - مرجع سابق - ١٢٤/٢.

ثانياً: أن "كيف" ظرف عند سيبويه، فموضعها "الانصب" دائماً. وعند السيرافي والأخفش: أنها اسم، فموضعها "رفع" مع "المبتدأ" و"تصب" مع غيره.

قال ابن مالك: لم يقل أحد: إن "كيف" ظرف، إذ ليست زماناً ولا مكاناً، ولكنها لما كانت تُفسَّر بقولك: على أي حال لكونها سؤالاً عن الأحوال العامة، سميت "ظرفاً" لأنها في تأويل الجار والمجرور، واسم الظرف يطلق عليها مجازاً. اهـ.

قال ابن هشام: وهو حسن، ويؤيده الإجماع على أنه يقال في "البذل": كيف أنت؟ أصحيح أم سقيم - بالرفع - ولا يبذل "المرفوع" من "المنصوب" (١).

ثالثاً: يعرب "كيف" حالاً إذا وقع أمام "الفعل التام":

كقول المتنبي:

كيف لا تأمن العراق ومصر
وسراياك دونها والخيول

وإذا وقع أمام "الفعل الناقص" أعرب "خبر مقدم" له.

كقول أبي العلاء:

كيف أصبحت في مكانك بعدي يا جديراً مني بكل افتقاد

ويعرب "نائب مفعول مطلق"، نحو قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ

فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ} (٢).

(١) ينظر: ابن هشام - أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف - المتوفى سنة (٧٦١هـ) - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - تحقيق: مازن المبارك + محمد علي حمد الله - مرجع سابق - ٢٠٦/١.
(٢) ينظر: سورة: آل عمران - آية: ٦.

ويعرب "اسم شرط جازماً" عند الكوفيين (١).

رباعياً: زعم قوم أن "كيف" تأتي عاطفة وأنشدوا عليه:

إِذَا قُلَّ مَالُ الْمَرْءِ لَأَتَّ قَنَاتُهُ

وَهَانَ عَلَى الْأَدْنَى فَكَيْفَ الْإِبَاعِ (٢)



الخاتمة

الحمد لله تعالى الذي أسس بنيان دينه على أثبت القواعد، وأحكم أصول شريعته فأعيا تفريعها كل معاند، ورفع قدر علمائها فعد كل واحد منهم بألف، كما عد ألف من غيرهم بواحد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له توحيداً أناله في صميم القلب واجد، وعليه في الدنيا والآخرة شاهد.

وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الهادي إلى سبيل الرشاد، ولولاه لم يكن أحد منا براشد، وعلى آله وأصحابه الذين حفظوا الشريعة في جميع المصادر والموارد، وحملوا حماها عن الشبهات، ووقفوا عند حدودها تحصيلاً للمصالح ودرأاً للمفاسد. فرضي الله تعالى عنهم أجمعين وعن جميع علماء المسلمين الذين خلفوا الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم أجمعين في تمهيد القواعد، واستخراج الفوائد، وضبط الأصول الشوارد، وتبيين الأدلة

(١) ينظر: الأسمر - جرجس عيسى - قاموس الأعراب - مرجع سابق - ص/ ٨٠.

(٢) قال ابن هشام: وهذا خطأ؛ لاقرانها بـ "الفاء" وإنما هي - هنا - اسم مرفوع المحل على الخبرية، ثم يحتمل أن "الإبعاد" مجرور بإضافة "مبتداً محذوف" أي: فكيف حال الإبعاد، أو بتقدير: فكيف الهوان على الإبعاد. فحذف "المبتداً" و "الجار". أو بـ "العطف" بـ "الفاء" ثم أقحمت "كيف" بين العاطف والمعطوف لإفادة الأولوية بالحكم.

(ينظر: ابن هشام - أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف - المتوفى سنة (٥٧٦هـ) - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - تحقيق: مازن المبارك + محمد علي حمد الله - مرجع سابق - ٢٠٧/١).

والمقاصد، والتوسع في علوم القرآن والعربية التي يتيه في بحارها كل عالم ناقد^(١).

وبعد فإن البحث في "حروف المعاني" ومنها "أدوات الشرط" قد يبدو للوهلة الأولى سهلاً ميسوراً، ولكن في حقيقته، وبعد إخراج ما في جعبته وجدناه يحتاج إلى جهد وعناء، وتفكر وتدبر، وتحقيق وتأمل يشعر فيه الباحث وكأنه غواص كلما غاص في أعماق البحر كلما جمع أكبر عدد ممكن من اللآلئ الغر، تهون عليه المشاق، وتغريه بمزيد من الولوج في أعماق الأعماق، وشتان بين المحسوس والمعقول، وبين متعة الحصول على لآلئ البحر ولآلئ الفكر، التي أضع خلاصة جمعها، ومنحول بحثها، وعصارة جهدها، ومحصول زرعها بين أيديكم.

أولاً: ارتباط "علم الأصول" بـ "علوم اللغة العربية" لذلك ظهرت الحاجة إلى تعقيده وتأصيله بعد اتساع البلاد الإسلامية، واختلاط العرب بغيرهم، وإدخال كثير من المفردات والأساليب الغريبة عنهم، وكثرة الاحتمالات في فهم النصوص، فحينها دعت الحاجة إلى وضع ضوابط، وقواعد لغوية أصولية بها يقتدر على فهم النصوص كما فهمها المسلمون الأوائل الذين نزل عليهم القرآن الكريم.

ثانياً: قال جل ثناؤه: ﴿وَإِنَّا لَنَنْزِلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٢). فوصفه الله تعالى بأبلغ ما يوصف به الكلام، وهو البيان. وقال جل ثناؤه: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ

(١) ينظر: ابن السبكي - شيخ الإسلام علي بن عبد الكافي - المتوفى سنة (٧٥٦هـ) + عبد الوهاب بن علي المتوفى سنة (٧٧١هـ) الإبهاج في شرح المنهاج - على منهاج الوصول إلى علم الأصول - للقاضي البيضاوي - ٣/١ - بتصرف.

(٢) سورة الشعراء - آية: ١٩٢ - ١٩٥.

* عِلْمَةُ الْبَيَانِ^(١). فقدّم جل ثناؤه ذكر "البيان" على جميع ما توحد بخلقه، وتفرّد بإنشائه، من شمس وقمر ونجم وشجر، وغير ذلك من الخلائق المحكمة والنشاي المتقنة، فلما خصّ جلّ ثنائه اللسان العربي بـ "البيان" علم أن سائر اللغات قاصرة عنه، وواقعة دونه^(٢).

ثالثاً: اختلاف الأئمة الأعلام وحملة الأقاليم من الفقهاء في كثير من المسائل بناء على اختلاف لغوي ناشيء عن دعوى اشتراك أو دعوى تباين، أو ظهور المعنى ورجحانه في جهة، أو تأويل لفظ إلى وجه خفي لقرينة من القرائن، أو تنازع في لفظ بين الوضع اللغوي والحقيقة الشرعية، ومن ذلك:

أ- الإحفاء: بالنسبة للشارب هل هو المبالغة في الأخذ منه كالحلق، أو هو بمعنى حفه أخذ بحفافيه، أي: بجانبه. وقد أمرنا رسولنا ﷺ بإحفاء الشارب. خلاف الفقهاء تبعاً لخلاف أهل اللغة.

ب- الإقعاء: وقد نهى عنه في الصلاة، هل هو إلصاق الإليتين بالتراب ونصب الساقين، أو هو وضع الإليتين على العقبين بين السجديتين، أو هو أن يجلس على وركيه غير متمكن مستوفزاً. خلاف لغوي وفقهي.

ج- الاتكاء: ورد في الحديث النهي عن الأكل متكئاً. والاتكاء هو: التربع جالساً. وهو - أيضاً - الميل على الشق معتمداً عليه.

(١) سورة الرحمن - آية ٢ - ٤.
(٢) فإن قال قائل: قد يقع البيان بغير "اللسان العربي" لأن كل من أفهم بكلامه على شرط لغته فقد بين. قيل له: إن كنت تريد أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يعرب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده، فهذا أخس مراتب البيان؛ لأن "الأبكم" قد يدل بإشارات وحركات له على أكثر من مراده، ثم لا يسمى متكلماً، فضلاً عن أن يسمى "بيناً" أو "بليغاً" وإن أردت أن سائر اللغات تبين إبانة "اللغة العربية" فهذا غلط؛ لأننا لو احتجنا أن نحبر عن "السيف" وأوصافه بـ "اللغة الفارسية" لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد، ونحن نذكر لـ "السيف" باللغة العربية صفات كثيرة، وكذلك الأسد، والفرس وغيرها من الأشياء المسماة بالأسماء المترادفة، فأين هذا من ذلك، وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب؟! هذا ما لا يخفى به على ذي نهية.

(ينظر: ابن فارس - أجد بن زكريا الرازي - المتوفى سنة (٨٩٥هـ) - الصاحبي - تحقيق: عمر فاروق الطباع - مرجع سابق - ص/٤٣).

د- الفاكهة: هل تشمل التمر والرمان؟ الخلاف بين أبي حنيفة القائل: لا تشملهما. والجمهور القائل: تشملهما. مسألة الوضع اللغوي و"الواو" في الآية^(١)، هل تفيد المغايرة وعليه لو حلف لا يأكل فاكهة فأكل أحدها فهل يحنث؟.

ه- الصعيد: هل هو من الصعود كل ما صعد على وجه الأرض فيجوز التيمم على ما صعد على وجه الأرض، كالحجارة، كما ذهب إليه السادة المالكية، أو الصعيد مرادف للتراب، كما ذهب إليه السادة الشافعية وغيرهم.

رابعاً: تناول الأصوليين ل ((أسماء الظروف)) وهي أسماء مع ((حروف المعاني)) من باب "التجاوز والتغليب" أو تشبيهاً لها بـ "الحروف" من حيث بناء المعاني عليها، وعدم الاستقلال بذاتها.

خامساً: ذيلنا كل حرف - تقريباً - ببعض المسائل الفقهية التي ذكرها الأصوليون، وهذا ما امتازت به كتب السادة الأحناف، ولا غرو في ذلك فهو مبني على منهجهم القائم على ربط الأصول بالفروع. لذا كثر في كتبهم ذكر الفروع والقواعد الفقهية المتفقة معها.

سادساً: لم نغفل المسائل اللغوية، فقد حاولنا إعطاءها حقها من البحث والتحقيق دون الغوص في أعماقها، وإنما بحسب ما يقتضيه المقام حتى لا يفلت منا الزمام.

وأخيراً: لا بد من الاعتراف بأن الموضوع كان دقيقاً جداً بحيث فاق كل التوقعات وجميع الإرهاسات، فقد ضم علومنا شتى، وفنونا جمّة من

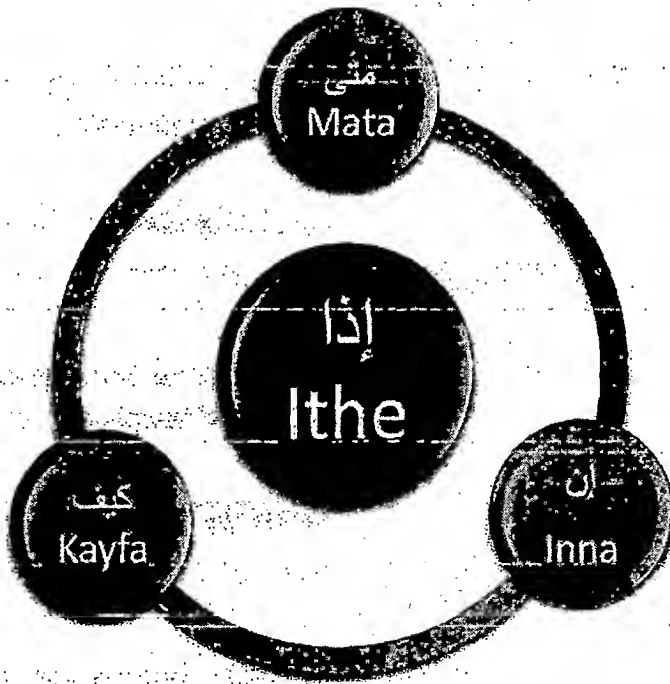
(١) ينظر: ابن بيه - عبد الله بن الشيخ محفوظ - أمالي الدلالات ومحالي الاختلافات - مرجع سابق - ص ٢٥٦.

أقوال المفسرين، والمحدثين، والفقهاء، والأصوليين، واللغويين. القلم، حاولنا
 بقدر المستطاع جمع متفرقاتها، وطي نشرها، ولمّ شعثها، بما يحقق الفائدة
 ويعود بالعائدة. وهذا جهد المقل، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق، ومن
 الإسورة ما أحاط بالمعصم.

قائمة بأهم الأشكال التوضيحية^(*)

أدوات الشرط

The Nouns of Conditions



(*) تم ترتيبها بحسب ورودها في البحث.

معاني (إن)

Meanings of "inna"

• النفي إن تلامها (إلا)

negative when followed by "only"

• تكون بمعنى (إذا)

meaning "if"

• تكون بمعنى (قد)

meaning "may"

• تكون مخففة من الثقل فتدخل على الجملتين

الاسمية والفعلية

reduced from the heaviness and
intervened in the nominal
sentences and verbal sentences

• تكون زائدة

being additional

إن

معاني (إذا)

Meanings of "Ithe"

• تكون للمفاجأة

be surprising

• تكون ظرفا للمستقبل متضمنة معنى الشرط

be adverb of time for

the future including the meaning of
"condition"

• تكون ظرفا لما يستقبل من الزمان مجردة من

معنى الشرط

adverb to the future
abstracted from the condition

• تكون ظرفا لما مضى من الزمان واقعة موقع (إذا)

adverb to the future in the location
of "as"

• تكون اسما مجرورة بـ (حتى)

be an object of

preposition to "even"

be a start

• تكون مبتدأ

be an object

• تكون مفعولا به

إذا

معاني (متى)

Meanings of "Mata"



معاني (كيف)

Meanings of "kayfa"



قائمة بأهم

المراجع الورقية^(*)

((حرف الألف))

- الإربلي - علاء الدين علي بن محمد - المتوفى سنة (٥٧٤١هـ) -
جواهر الأدب في معرفة كلام العرب - تحقيق: حامد أحمد نيل -
الناشر: مكتبة النهضة المصرية - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- الأسمر - جرجس عيسى - قاموس الإعزَاب - الناشر: دار العلم
للملايين - بيروت - الطبعة: الثامنة - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- الأسنوي جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الشافعي المتوفى سنة
(٧٧٢هـ) نهاية السؤل في شرح "منهاج الأصول" للفاضلي ناصر الدين
عبد الله بن عمر البيضاوي، المتوفى سنة (٦٨٥هـ) الناشر: عالم الكتب
بيروت سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
- إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني، المتوفى سنة (٤٧٨هـ)
البرهان في أصول الفقه تحقيق: عبد العظيم الديب الناشر: دار
الأنصار بالقاهرة الطبعة: الثانية سنة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
- ابن إمام الكاملية محمد بن محمد بن عبد الرحمن المتوفى سنة
(٨٦٤هـ) شرح الورقات دراسة وتحقيق: فتحية عبد الصمد محمد
عبيد الناشر: دار حافظ جدة الطبعة: الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.
- الأمدي علي بن محمد، المتوفى سنة (٦٣١هـ) الأحكام في أصول
الأحكام تحقيق: سيد الجميلي الناشر: دار الكتاب العربي بيروت
لبنان الطبعة: الأولى سنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

(*) المراجع مرتبة بحسب الترتيب الهجائي بالنسبة لمؤلفيها، مع إسقاط " ال التعريف " و"ابن " و" أب " من الاعتبار. فليتم.

○ ابن أمير الحاج - المتوفى سنة (٨٧٩هـ) - التقرير والتحبير - الناشر:
دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة: الثانية ١٤٠٣هـ -
١٩٨٣م .

○ الأتباري - أبو البركات عبد الرحمن بن محمد النحوي - المتوفى سنة
(٥٧٧هـ) - الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين - الناشر:
المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م .

((حرف النبأ))

○ البخاري - علاء الدين عبد العزيز بن أحمد، المتوفى سنة (٧٣٠هـ) -
كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي - الناشر: دار الكتب
العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

○ البدخشي - محمد بن الحسن - مناهج العقول "شرح البدخشي" -
الناشر: مطبعة محمد علي صبيح وأولاده - بالأزهر - بمصر - سنة
١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م .

○ بدران عبد القادر بن أحمد مصطفى، المتوفى سنة (١١٤٠هـ) صححه
وعلق عليه: عبد الله التركي المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل
الناشر: مؤسسة الرسالة - الطبعة: الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

○ البناني - عبد الرحمن بن جاد الله - المتوفى سنة (١١٩٧هـ) - حاشية
البناني على شرح المحلى على متن جمع الجوامع - الناشر: دار الفكر
- ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

○ ابن بيه - عبد الله بن الشيخ محفوظ - أمالي الدلالات ومجالي
الاختلافات - الناشر: دار ابن حزم - بيروت - لبنان - الطبعة:
الأولى - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

((حرف التاء))

- التفتازاني - سعد الدين مسعود ابن عمر - المتوفى سنة (٥٧٩٢هـ) -
شرح التلويح على التوضيح - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت -
لبنان.

((حرف الجيم))

- الجرجاني السيد الشريف علي بن محمد بن علي المتوفى سنة
(٥٨١٦هـ). التعريفات الناشر: شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي
وأولاده بمصر سنة ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م.
- الجوهري إسماعيل بن حماد المتوفى سنة (٣٩٣هـ) الصحاح تاج
اللغة وصحاح العربية تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار
العلم للملإيين بيروت الطبعة: الثانية سنة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

((حرف الحاء))

- ابن الحاجب عثمان بن عمر بن يونس، المتوفى سنة (٦٤٦هـ)
مختصر المنتهى الأصولي الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان
الطبعة: الثانية سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
- ابن حجر - الحافظ شهاب الدين العسقلاني، المتوفى سنة (٨٥٠هـ) -
فتح الباري بشرح صحيح البخاري - الناشر: دار إحياء التراث
العربي - بيروت - لبنان - الطبعة: الرابعة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- أبو الحسين البصري - محمد بن علي بن الطيب - المتوفى سنة
(٤٣٦هـ) - المعتمد تحقيق: محمد حميد الله - الناشر: المعهد العلمي
الفرنسي للدراسات العربية - بدمشق -

((حرف الخاء))

- أبو الخطاب الكلوزاني - محفوظ بن أحمد بن الحسن الحنبلي - المتوفى سنة (٥١٠هـ) - التمهيد في أصول الفقه - تحقيق: مفيد محمد أبو عمشة - الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى - مكة المكرمة - الطبعة: الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

((حرف الراء))

- الرازي - فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين - المتوفى سنة (٦٠٦هـ) - المحصول - تحقيق: طه جابر فياض - الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- الرماتي - أبو الحسن علي بن عيسى - المتوفى سنة (٣٨٤هـ) - معاني الحروف - تحقيق: عرفان بن سليم حسونة - الناشر: المكتبة العصرية - بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

((حرف الزاي))

- الزحيلي وهبة أصول الفقه الإسلامي الناشر: دار الفكر المعاصر بيروت لبنان + دار الفكر دمشق سورية الطبعة: الثانية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- الزركشي - بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر - المتوفى سنة (٧٩٤هـ) - البحر المحيط في أصول الفقه - قام بتحريره: عمر سليمان الأشقر.

((حرف السين))

- ابن السبكي شيخ الإسلام علي بن عبد الكافي السبكي، المتوفى سنة (٧٥٦هـ) وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، المتوفى سنة

(٧٧١هـ) الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول: للقاظمي البيضاوي، المتوفى سنة (٦٨٥هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة: الأولى سنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

○ ابن السبكي عبد الوهاب بن علي السبكي، المتوفى سنة (٧٧١هـ) جمع الجوامع الناشر: دار الفكر سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

○ السرخسي - أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهيل - المتوفى سنة (٤٩٠هـ) - أصول السرخسي - حققه: أبو الوفا الأفغاني - الناشر:

لجنة إحياء المعارف النعمانية - بحيدر آباد - الدكن - بالهند.

○ ابن السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار المتوفى سنة (٤٨٩هـ)

هـ) قواطع الأدلة تحقيق: محمد حسن الشافعي الناشر: دار الكتب

العلمية بيروت لبنان الطبعة: الأولى سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .

○ سيبويه - عمرو بن عثمان بن قنبر - المتوفى سنة (١٨٠هـ) -

الكتاب في النحو - الناشر: عالم الكتب - بيروت - لبنان + مطبعة

بولاقي - ١٣١٦هـ - ١٨٩٦م.

((حرف الشين))

○ الشوكاني محمد بن علي بن محمد، المتوفى سنة (١٢٥٠هـ) إرشاد

الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول الناشر: دار الفكر .

○ الشيرازي - أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف - المتوفى سنة

(٤٧٦هـ) - اللمع - تحقيق: محمد حسن هيتو - الناشر: دار الفكر -

بدمشق - الطبعة: الأولى - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

((حرف الصاد))

- صدر الشريعة - عبيد الله بن مسعود المحبوبي البخاري - المتوفى سنة (١٧٤٧هـ) - تنقيح الأصول - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

((حرف العين))

- ابن عبد الشكور - محب الله ابن عبد الشكور، المتوفى سنة (١١١٩هـ) مسلم الثبوت الناشر: دار العلوم الحديثة - بيروت - لبنان.
- عبد الغفار السيد أحمد التصور اللغوي عند الأصوليين الناشر: مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
- ابن العربي - محمد بن عبد الله بن محمد، المتوفى سنة (٥٣٤هـ) - أحكام القرآن - تحقيق: علي محمد البجاوي - الناشر: دار المعرفة - بيروت - لبنان.
- العضد - عبدالرحمن بن ركن الدين أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجي البكري، المتوفى سنة (٧٥٦هـ) - "شرحه" على "مختصر ابن الحاجب" - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة: الثانية - سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

((حرف الغين))

- الغزالي - أبي حامد محمد بن محمد الغزالي - المتوفى سنة (٥٠٥هـ) المستقصى من علم الأصول دار العلوم الحديثة - بيروت - لبنان.

((حرف الفاء))

- ابن فارس - أحمد بن زكريا الرازي - المتوفى سنة (٨٩٥هـ) - صاحبي - تحقيق: عمر فاروق الطباع - الناشر: مكتبة المعارف - بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- الفيروز آبادي . مجد الدين محمد بن يعقوب المتوفى سنة (٥٨١٧هـ).
القاموس المحيط الناشر: المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت
لبنان .

((حرف القاف))

- ابن قدامه موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد، المتوفى سنة
(٥٦٢٠هـ) روضة الناظر وجنة المناظر الناشر: مكتبة المعارف
الرياض المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية سنة ١٤٠٤هـ
١٩٨٤م .

- القرافي - شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس - المتوفى سنة
(٥٦٨٤هـ) - شرح تنقيح الفصول - في اختصار "المحصول في
الأصول" - تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد - الناشر: دار الفكر +
مكتبة الكليات الأزهرية - بالقاهرة - جمهورية مصر العربية -
الطبعة: الأولى سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

((حرف الكاف))

- ابن كثير - إسماعيل بن عمر القرشي، المتوفى سنة (٥٧٧٤هـ) -
البداية والنهاية - الناشر: مطبعة السعادة - بمصر سنة ١٣٥١هـ
١٩٣٢هـ .

((حرف الميم))

- المالقي - أحمد بن عبد النور - المتوفى سنة (٥٧٠٢هـ) - رصف
المباني في شرح حروف المعاني - تحقيق: أحمد محمد الخراط -
الناشر: مجمع اللغة العربية - بدمشق .

- محمد عبد العزيز النجار - ضياء السالك إلى أوضح المسالك - وهو صفوة الكلام على توضيح "ابن هشام" - الناشر: مطبعة السعادة - القاهرة - الطبعة: الثانية - ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- الإمام مسلم - أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري - المتوفى سنة (٢٦١هـ) - صحيح مسلم بشرح النووي - الناشر: دار المعرفة - بيروت - لبنان - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- المرادي - الحسن بن قاسم - المتوفى سنة (٧٤٩هـ) - الجنى الداني في حروف المعاني - تحقيق: فخر الدين قباوه + محمد نديم فاضل الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المتوفى سنة (٧١١هـ) لسان العرب الناشر: دار صادر + دار بيروت للطباعة والنشر سنة ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م.

((حرف النون))

- ابن النجار محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحى الحنبلى، المتوفى سنة (٩٧٢هـ) شرح الكوكب المنير تحقيق: محمد الزحيلي + نزيه حماد الناشر: دار الفكر دمشق سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
- النسفى - أبو البركات عبد الله بن أحمد - المتوفى سنة (٧١٠هـ) - كشف الأسرار - شرح المصنف على "المنار" - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

((حرف الهاء))

- الهروي - علي بن محمد النحوي - المتوفى سنة (٤١٥هـ) - الأزهية في علم الحروف - تحقيق: عبد المعين الملوحي - طبع مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

○ ابن هشام - أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف - المتوفى سنة (٥٧٦١هـ) - مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب - تحقيق: مازن المبارك + محمد علي حمد الله - الناشر: دار الفكر - الطبعة: الخامسة - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.



ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم
والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
وعلى آله وصحبه أجمعين